المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والاربعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣١

العلاج الكيماوي

من خطبة الدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي

٢

يقوقف التداوي بالمواد السامّة التي تميت الميكروبات على نسبة فعلها بها الى فعلها بالجسم. ففي التجربة المشهورة التي جرّبها روبرت كوخ لم تفعل الجرعة الكبيرة من السليماني بعدوى الانثركس (الجمرة) فعلاً شافياً مع انها تفعل بالجسم فلا سبيل لاستعمال السليماني دواء في هذه الحال. وقد يزيد الدواء الشرّ شرًّا لانهُ يقوي الميكروب المرضي على النمو

وقد اكتشف هاتا سبب ذلك وهو ان الجسم يمتصُّ المادة السامّة كلها واما الميكروبات فلا تمتص الاَّ جزءًا صغيراً منها. ومن القواعد المشهورة في علم الاحياء ان المادة التي تميت الحي اذا كان مقدارها كثيراً تقويهِ في الغالب اذا كان مقدارها قليلاً وجرعاتها صغيرة ولذلك لا يستعمل في العلاج الاَّ المواد التي نسبة فعلها بالجسم الى فعلها بالميكروبات المرضية لا تحول دون استعمالها علاجاً. ويمكن اظهار ذلك بالامتحان اي بان يقابل بين الجرعة السامّة والجرعة التي يحتملها الجسم. والمواد التي لها فائدة دوائية هي المواد التي الجزء الصغير من جرعتها المحتملة كافٍ للفعل الدوائي او الشفائي

وتعليل فعل الادوية حسب رأي لنغلي ورأيي ان في خلايا الجسم واعضائهِ المختلفة قوابل كيماوية مختلفة كما فرضنا وجودها في الميكروبات. ويظهر هذا الاختلاف الكيماوي في الاعضاء باختلاف تلوُّنها بالاصباغ فان قمة الحجاب الحاجز تسودُّ وحدها بعد دخول البارانيلندیامين. والفنيلامين يضرُّ الخلايا الكلوية فقط ويميتها في كل الحيوانات. وقد ابان هاتا وغلدمان ان شعر الفيران في بعض بدنها يتلوَّن اذا دخلهُ السيانوجين وتجمع المادة

الملونة بكثرة في الغدد اللبنية. والمواد الملونة من نوع البيرونين تسبب استسقاء عامًّا في الفيران من غير ان تضرّ بالكلى دلالة على انها فعلت بالنسيج الموصل تحت الجلد. وهذه الامور كلها تفسّر بان الاماكن التي تحدث فيها هذه الافعال توجد فيها اسباب لحدوث فعل كيماوي خاص وهذه الاسباب هي وجود قوابل كيمارية خصوصية

بناء على ذلك يمكن قسمة العقارات الى صفوف. وقد رأينا انهُ يحسن ان نرى كيف يتغير فعل الحامض الفنيل زرنيخيك الذي هو اساس مركبات الزرنيخ اذا اضيفت اليهِ مواد اخرى. ويمكن تركيب مركبات كثيرة على هذا النمط تبلغ الفًا وخمس مئة فبعضها مقدار الفعل السام فيهِ قليل جدًّا اقل مما هو في ملح الطعام والبعض الاخر الفعل السام فيهِ كثير جدًّا حتى ان الشيء الطفيف منها يميت. ويختلف فعلها بالجسم باختلاف الاعضاء التي تفعل بها فقد تفعل بالقناة الهضمية فيموت الحيوان بالاسهال الشديد وقد تفعل بالكبد فيصاب الحيوان باليرقان ويموت وقد تذيب الكريات الحمراء من الدم فيموت الحيوان بالانيميا الشديدة. وكثيراً ما تفعل بالمجموع العصبي المركزي فني الفيران تفعل بعصب دهليز الاذن الباطنة فتصير الفارة تدور على نفسها دورانًا مستمرًّا. وفي الناس يتأثر العصب البصري من كثير من مركبات الحامض الفنيل زرنيخيك ومن ثم يصاب بعض الذين يأخذون جرعة كبيرة من الاتكسول والارسازتين ونحوهما

وسبب اختلاف تأثر الاعضاء باختلاف انواع الدواء هو اختلاف ما فيها من القوابل الكيماوية كما تقدّم فان هذه القوابل قد تجذب الدواء كما يجذب المغنطيسُ الحديدَ وهذا هو دليلنا في عمل السهام الدوائية السامّة التي نعالج بها اي يجب ان نضيف الى الحامض الفنيل زرنيخيك او الفنيل ارسنوبنزول انواعًا من المواد تصلح لما نريد علاجهُ من اعضاء الجسم ولما فيهِ من قوابل الميكروبات

قلت سابقًا ان في الميكروبات انواعًا مختلفة من القوابل فاذا امكننا ان نكتشف فيها قوابل لا مثيل لها في الجسم امكننا ان نركّب دواء فيهِ مواسك تمسك هذه القوابل ولا تمسك قوابل الجسم فيفعل بها ولا يفعل بالجسم. والدواء الذي فيهِ هذه المواسك لا ضرر منهُ لان الجسم لا يمسكهُ فيفعل بالميكروبات بكل قوته ويكون من هذا القبيل مثل المواد الوانية التي اكتشفها بهرنغ الشبيهة بما يروى عن الرصاص السحور الذي يقال في الخرافات انهُ كان يتبع الاعداء ويوقع بهم. ولا ارى ما يمنع من تركيب ادوية تفعل بيكروبات الامراض دون سواها فقد وجدتُ ان الجزء من خمسين الى الجزء من مئة من الجرعة المحمولة من السلفرسان

تنجي الدجاج من ميكروب السبيرُولس وتشفيها وهذا المقدار لا يضرُّ بالدجاجة اقل ضرر لكننا لم نوفَّق حتى الآن الى اكتشاف ادوية أخرى يفعل الجزء الصغير منها هذا الفعل. وحسبُنا لو وجدنا ادوية يفعل عشر جرعتها المحتملة او خمسها فعلاً دوائيًّا

هذه هي المبادئ التي ارتشدنا بها بالاكثر في تركيب الادوية الجديدة. وقد ساعدني في تركيب التراكيب المختلفة منها واتقانها اطباء كثيرون مثل الدكتور بندا والدكتور برتهم والدكتور كهن والدكتور فرر. وامتحنها بيولوجيًّا صديقي المحترم الدكتور هانا ثم الدكتور كستلي والدكتور غُنْدر فوجدنا افضلها وانفعها السلفرسان

ولكن بين المعمل الكيماوي وغرفة المريض خطوة كبيرة وشقة واسعة لا تقطع الاَّ بالاعتناء. وصعوبتها وخطرها قائمان في امرين الاول ان في الناس امزجة مختلفة اي فيهم استعداد للتأثر الشديد يختلف في الواحد عمَّا هو في الآخر وهذا ليس موجوداً في العجماوات. والثاني ان بعض الامراض تسبب في من تقع به ميلاً الى هذا التأثر الشديد

ومعالجة المرضى على هذه الكيفية امر صعب جدًّا وهي مثل حرب ثار على الميكروبات المرضية. واساليبها مختلفة اهمها ان يحقن الجسم مرةً او مرتين بمادة تخلصهُ من الميكروب دفعةً واحدة او من الحلِّ الذي فيهِ واذا خلصتهُ من ٩٥ في المئة من الميكروب فالخمسة الباقية يميتها ما يتولد حينئذٍ في الجسم من المادة المقاومة لها. ولكن ذلك قلما يحدث لان بعض الميكروبات او الجلميات التي تنجو من فعل الدواء تتخير وتكتسب الوقاية من المعمل او الامتناع عليهِ فتنمو ثانية وتولد النكس ومن ثم يحصل النكس في بعض الامراض بعد شفائها. ولذلك تدعو الحال الى قتل كل الجراثيم المرضية دفعةً واحدة والاَّ فاذا بقي واحد منها حيًّا نما وتكاثر من جديد. الاَّ ان الحروب لا يحصل الفوز فيها كلها بمعركة واحدة فاصلة بل قد يكون امام الخصوم قلاع ومدينة حصينة لا بدَّ للتغلُّب عليها من الاستمرار على محاصرتها شهوراً. ويحدث مثل ذلك في الجسم المريض ويكون الغرض حينئذٍ اعداد الجسم للمعركة الفاصلة التي يتغلَّب فيها العلاج على الميكروب. وقد يكون الميكروب نفسهُ حصيناً لا يسهل التغلُّب عليهِ الاَّ بالوسائل الكيماوية المختلفة وهذا هو غرض العلاج الكيماوي المركب

ويتضح مما تقدم ان العلاج المركب يستلزم استعمال فواعل كيماوية مختلفة تفعل بقوابل الميكروب المختلفة فلا يحسن ان نمزج فاعلاً بفاعل آخر مثلهِ او من نوعهِ كمزج التربيبين الازرق بالتربيبين الاحمر لانهما يفعلان على حدٍّ سوى بالميكروب او بجهة واحدة منهُ بل يجب ان نختار العقاقير الاقوى وان تتقي بنا انواعاً مختلفة تهاجم الميكروب من كل جهاتهِ

حسب قاعدة رجال الحرب الذين يقولون « اضربوا متفرقين وحاربوا مجتمعين »

ومتى عرفنا ماهية قوابل كل نوع من الميكروبات وأفعال العقاقير بها تمهَّد امامنا السبيل لمزج الانواع اللازمة من العقاقير لقتلها

والآن ايها السادة اسمحوا لي ان اذكر لكم بعض النتائج العملية التي وصلنا اليها . تعلمون ان الدواء المجهز الذي يميت النوع الواحد من الميكروب كلهُ قد افاد فائدة كبيرة في الامراض التي ميكروبها من نوع السبرلس (اللولبيات) فحقنة واحدة من السلفرسان تشفي من القوباء التوتية (frombœsia) شفاء تامًّا الاَّ في ما ندر . وهو مرض شديد الوطأة في البلدان الحارَّة فقد كان عدد المرضى بهِ في مستشفى سورينام لا يقل عن ٣٠٠ فلما استعمل هذا العلاج شفي كل المصابين الاَّ اثنين وأقفل المستشفى لان كل مصاب كان يشفى تماماً بحقنة واحدة . ويرجى ان يستأصل هذا الداء تماماً بواسطة هذا العلاج

وحدث مثل ذلك في شفاء الحمَّى الراجعة فان حقنة واحدة بالسلفرسان تشفي المصاب بها وكذلك الحال في الحمَّى المنتكسة

والداء الزهري من قبل القوبا التوتية وقد شفي عدد كبير من المصابين بهِ بحقنة واحدة اذا كان لا يزال في اوائله ولكن الشفاء التام أكثر تحققاً اذا كررت الحقن

وهذه المعالجة ممكنة في امراض غشاء الفم المخاطي وقد افاد استعمال السلفرسان فيها موضعيًّا . وتجمع السلفرسان في الحمَّى المثلثة وحبَّة حلب . هذا في البشر اما في الحيوانات فمرض ثدي الفرس يشفى بحقنة واحدة من السلفرسان وكذلك التهاب الغدد الخفاوية ومرض السقاية الذي يصيب الخيل في افريقية

ومن اهم الامور ما وجدهُ رجرس وهو ان الاماتين (الجوهر الفعال في عرق الذهب) دواء نوعي للدوسنطاريا الاميبية . وبلغني ان ازرق التربين يشفي من داء البروبلاسموس الذي يصيب البقر والكلاب وان الفلاحين في بريتوريا صاروا يحقنون مواشيهم بهِ فتشفى

وقد حاول غرفن لندن الوقاية من الندرُّن بمركب من النحاس والمستين فظهرت فائدة لهذا العلاج وظهرت فائدة ايضاً من معالجة الجمرة الخبيثة والسقاية بالسلفرسان ومن المحتمل انهُ يفيد في الحمرة . والمجال واسع في هذا الباب لتجارب المختلفة لان العمل فيهِ لا يزال في بدايته

هذا واذا القينا نظرة عامَّة على تاريخ علم الطب في الخمسين السنة الماضية ولاسيما في الحرب التي اثارها على الامراض المعدية وجدنا انهُ تقدَّم في كل فروعهِ تقدُّماً مهمًّا ولاسيما ما يتعلَّق منهُ باسم باستور وكوخ ويهرنج فمن الجهة الواحدة تمَّ لنا استفراد الميكروبات المرضية

بالطريقة التي اكتشفها كوخ واشترك فيها تلامذتهُ ورصفاؤهُ ولاسيما لفلر وغفتي وفيفر . ودرس الحلميات الذي ابتدأ باكتشاف لافران لجراثيم الملاريا واكتشاف لفلر وفروش وروتوكار للسموم التي تمر في المرشحات واكتشاف فعل الحشرات في نقلها جراثيم الامراض وايوائها الى ان تنقلها الى الانسان . ومن الجهة الاخرى درسنا اساليب المناعة التي ابتدأت طلعة بدرها على يد متشنيكوف وبلغت اوجها باكتشاف بهرنغ للانتيتكسين ففتح امامنا مجال جديد لعلم الوقاية والبحث في انواع المصل اشتغل بهِ فيفر وبوردت وفيدال ودمر من وغيرهم وانا منهم . ومن اثمن الثمار التي جنيناها من باب عملي تشخيص الامراض وفائدة ذلك في علم العلاج لا نقدَّر . وكان لهذه المكتشفات ولاسيما ما كان منها متعلقاً بانتشار الامراض المعدية فائدة كبيرة جدًّا في مقاومة الاوبئة والوقاية منها على حد قولهم ان الوقاية خير من الشفاء بل فاقت فائدتها كل ما قُدِّر لها . وزد على ذلك ان الامراض التي وجد علاجها من قبلُ كمصل الدفتيريا استفاد علاجها ايضاً من هذه المكتشفات الجديدة

والآن قد عُرف كثير من مخاطر الامراض والاستعداد لها واتجه العلاج الكيماوي الى شفاء الامراض التي يعجز الجسم عن التغلُّب عليها سواء كانت واندة او غير واندة . واذ قد وضع اساس المعالجة الكيماوية على مبادئ عملية اتضحت السبل التي يجب السير فيها ولو لم يخلُ هذا السير من المصاعب . ففي الامراض التي تدخل فيها الحلميات واللولبيات نجحنا نجاحاً يفوق الانتظار ويبشر بنجاح اكبر في المستقبل . وعندنا الآن ادلة كثيرة على ظهور تباشير النجاح في امراض اخرى معدية كالجدري والقرمزية والتيفوس الطفحي والحمَّى الصفراء وبنوع خاص في الامراض التي لا ترى جراثيمها بالميكرسكوب لصغرها . ولا تزال الامراض التي ميكروباتها كبيرة الحجم نوعاً وترى بسهولة كالتيفويد والدوسنطاريا والتدرُّن محتاجة الى درس كثير ولكني انظر الى المستقبل بعين الثقة وارجو انهُ لا يمضي خمس سنوات حتى نكون قد وصلنا الى نتائج مهمة جدًّا في هذا السبيل ولو وجدت امامنا مسائل عويصة جدًّا لا تحلّ ما لم تنضمّ اليها هم اناس كثيرين من الباحثين . واذا اعتبرنا كثرة المركبات الكيماوية التي تصلح لما نحن فيهِ من مقاومة الامراض رأينا ان العثور على افيدها في معالجة المرض او في كونهِ اساساً للعلاج انما يكون من باب التوفيق او الاتفاق ولكن الاتفاق يزيد وقوعاً اذا كثر عدد المشتغلين في الموضوع . والحال ادعى الآن الى اجتماع القوى لان في الاتحاد قوة في هذا الباب كما في غيره . وهذا المؤتمر الدولي الذي يجتمع فيهِ الوف من كل اقطار المسكونة ليثبتوا باجتماعهم ان عالم العلم عالمٌ لا فواصل فيهِ تفصل بين الامم المختلفة قد أسس لهذا الغرض

الاستاذ قمبيري

هوذا اسم آخر من اسماء العصاميين الذي ارتقوا من اوطإ دركات الفقر والمسكنة الى اعلى مراتب الشهرة العلمية والادبية . ارمينيوس قمبيري اللغوي الرحالة . ولد في بلد صغير من بلاد المجر من ابوين يهوديين . ولم يكن يعلم سنة ولادته بالتحقيق فلما طُلب منهُ ان يكتب اسنهُ في سجل ميلاد الملكة فكتوريا سنة ١٨٨٩ قال انهُ لا يعرف تاريخ ميلاده ولكن سُمح لهُ حينئذٍ ان يجعلهُ في ١٩ مارس سنة ١٨٣٢

كان ابوهُ من اليهود التلموديين يقضي وقتهُ في المطالعة وزوجتهُ تعمل لكسب ما يقوم بمعيشة بيتها . وتوفي ابوهُ وعمرهُ بضعة اشهر وحاولت امهُ ان تخرج من الفقر المدقع الذي كانت فيهِ بالتزوج برجل آخر ولكن هذا الزوج لم يعنَ باولادها ولا باولادهِ فاضطر ارمينيوس ان يكدح لنفسهِ ودخل في خدمة خيَّاطة تخيط الثياب للنساء وعمرهُ ١٢ سنة وكان قد تعلَّم في مدرسة بلدهِ مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم البسيطة فترك الخيَّاطة ودخل في خدمة صاحب خان لتعليم ابنهِ ومسح احذية عائلتهِ . واقتصد مما اكتسبهُ من ذلك ثمانية فلورينات اي نحو ثمانين غرشاً فقام بها الى سنت جورجن حيث توجد مدرسة عالية ليتعلَّم فيها ولعلَّها مجانية والاَّ ما استطاع التعلم وكل ما يملكهُ ثمانون غرشاً

وكان فيهِ ميل طبيعي الى تعلُّم اللغات فجرى على مقتضى ميلهِ ولم يبلغ السادسة عشرة حتى صار يحسن التكلم بكثير من لغات اوربا واسيا كالمجرية واللاتينية والفرنسوية والالمانية والانكليزية والروسية والسريانية . ولما بلغ العشرين تعلَّم التركية وقام فيهِ ميل شديد الى زيارة البلدان الشرقية والاطلاع على ما فيها من عجائب الصناعة ومظاهر الابهة ومواصلة دروسهِ اللغوية فاعطاهُ احد المحسنين نفقات السفر الى البحر الاسود وسار من ثم الى القسطنطينية وجعل يكتسب معيشتهُ بتلاوة الاشعار التركية والفارسية في قهوات اسطانبول وتعليم اللغات الاوربية لاولاد حسين باشا دايم وتعرَّف بكثيرين من اهل الوجاهة فصاروا يسمونهُ رشيد افندي وجُعل سكرتيراً لفؤاد باشا والف قاموسهُ بالتركية والالمانية وبلغ عدد اللغات التي الفها عشرين لغة

وكان احرج من صباهُ لكن ذلك لم يقعدهُ عن طلب السياحة في اقصى البلدان رغماً عما هو فيهِ من الفقر فقام قاصداً خوى وبخارى وسمرقند لكي يتقن لغاتها وكان قد صار عضواً

الاستاذ قمبري

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٤٢٢

مراسلاً في اكاديمية العلوم المجرية. فاعطتهُ الاكاديمية الف فلورين سنة ١٨٦١ لكي يذهب الى قلب اسيا ويبحث عن علاقة اللغة المجرية بلغات تلك البلاد. ومضى في السنة التالية الى ايران مع قافلة من حجاج التتار راجعة من مكة وكان قد تزيّا بزي درويش غير حاسب للمخاطر حساباً ولا متعظ بما اصاب غيرهُ من السياح الذين جروا هذا المجرى فكُشف امرهم وقضي عليهم . وغادر طهران في ٢٨ مارس سنة ١٨٦٣ فوصل الى خوى في آخر مايو بعد ان كاد يموت عطشاً وهو سائر في الصحراء فاكرم خان خوى مثواهُ وانزلهُ عندهُ شهراً من الزمان ثم قام مع قافلة اخرى وقطع قفراً آخر فكاد يهلك عطشاً قبلما وصل الى بخارى

وزار سمرقند فرآهُ اميرها وارتاب فيهِ وجعل يباحثهُ حتى اقتنع بصدقهِ فاهدى اليهِ هدايا نفيسة . ثم زار وهرات ومشهد وعاد الى بلاد المجر فلم يحفل بهِ اهل بلادهِ لفقرهِ وكونهِ يهودياً . فذهب الى البلاد الانكليزية ووصل مدينة لندن في شهر يونيو سنة ١٨٦٤ وتعرف بالسر هنري رولنصن ولورد ستراتفرد وهما من كبار المستشرقين العارفين باللغات الشرقية والباحثين عن الآثار الاسيوية وتعرف بغيرهما ايضاً من العلماء ورجال السياسة لانهُ كان يبحث في رحلاتهِ عن مقاصد روسيا في البلدان الشرقية وما تطمع اليهِ من التوسع فيها والوصول الى بلاد الهند . ودعي الى الجمعية الجغرافية فتكلم عن رحلتهِ وما لقيهُ فيها وحاول ان يقنع رجال السياسة بترك بلاد حرماً بين الاملاك الروسية والاملاك الانكليزية في اسيا . والف كتاباً في رحلتهِ كان لهُ وقع عظيم في النفوس وتُرجم الى اربع عشرة لغة فانتقل بهِ بغتة من درويش خامل الذكر يضرب ماشياً في صحارى اسيا الى رحالة يشار اليهِ بالبنان في عاصمة انكلترا وسائر العواصم الاوربية

ولما عاد الى بلادهِ جُعل استاذاً للغات الشرقية في جامعة بودابست فعكف على الدرس والكتابة والف كتباً كثيرة في المواضيع اللغوية والمسائل الشرقية وكان يراسل مصارفهُ من التتر والتركمان والعثمانيين والايرانيين والهنود والفرس بلغاتهم

وزار القسطنطينية مراراً واتصل بالسلطان عبد الحميد وصار من مشيريهِ والمدافعين عنهُ في الجرائد والمجلات الاوربية وقد ترجمنا مما كتبهُ فيهِ مقالة نشرناها في المجلد الرابع عشر الصادر سنة ١٨٩٠ ومما جاء فيها قولهُ « ان السلطنة العثمانية سابقة لسائر ممالك الاسلام والفضل في ذلك لجلالة سلطانها عبد الحميد وعظم اهتمامهِ . وانهُ ورث عن جدهِ السلطان محمود الغيرة والسعي والهمة وعن ابيهِ السلطان عبد المجيد دماثة الاخلاق ورقة القلب ولا ابالغ اذا قلت انهُ لم يقم في تاريخ الشرق سلطان شرقي امتاز بحب الشغل والهمة التي لا تكل

ولا تمل كالسلطان عبد الحميد فانهُ يقضي يومهُ من الصبح باكراً الى ان يتناهى المساء منهمكاً بقضاء اشغال الدولة ومهام السلطنة

« اما اوصافهُ الذاتية فقد الفيت فيهِ فوق ما سمعت من اللطف والرقة ودماثة الاخلاق. وهو من المتمسكين بعقائد مذهبهِ والمحافظين على شعائر دياناتهِ المعتصمين بالبر والتقوى ولذلك تراهُ محفوفاً باكابر الائمة والعلماء والصلَّح

« واما نظام البوليس الذي انهال اللوم عليهِ سيولاً وما يقال عن اجواق السيون والارصاد التي بثها بين رعيتهِ وانفق عليها الاموال الطائلة تأميناً على حياتهِ وتسكيناً لشبهاتهِ فالحق يقال ان هذه الاجواق لا توجد الاَّ في مخيلة سكان بيرا وغلطه »

هذا ما كتبهُ منذ ٢٣ سنة لكن لما خلع عبد الحميد كتب ما يخالفهُ من وجوه كثيرة بل كتب كتابة منصف . ولم ينفك عن الكتابة في المواضيع الشرقية عموماً والعثمانية خصوصاً الى ان ادركتهُ الوفاة فقد نشرت جريدة التيمس رسالة منهُ يوم وفاتهِ موضوعها مسلمو الهند والبلاد العثمانية

وتردَّد على البلاد الانكليزية والقى فيها وفي غيرها خطباً كثيرة وكان في خطبهِ ومقالاتهِ يرمي الى انتقاد السياسة الروسية واقناع الانكليز بان روسيا قاصدة ان تثير الهند عليهم او تنتزعها منهم. ولما زار لندن سنة ١٨٨٩ دعتهُ الملكة اليها وانزلتهُ في قصر وندزر. ونزل ضيفاً قبل ذلك على الملك ادورد لما كان ولي العهد . وقال في احد كتبهِ انهُ لما زار وليُّ العهد بودابست ورأى ان كبراءها لا يحفلون بهِ كما يحفل بهِ الانكليز استدعاهُ اليهِ ووضع يدهُ في يدهِ ودخل غرفة الاستقبال على هذه الصورة امام كبراء المجر وعرَّفهم بهِ قائلاً هذا صديقي الاستاذ ڤمبيري . ومن ثم ارتفعت منزلتهُ عندهم

ولما بلغ السبعين من عمرهِ بعث اليهِ الملك ادورد تلغرافاً يهنئهُ بهِ ثم اهدى اليهِ نشان ڤكتوريا وقام الملك جورج وهو وليُّ العهد عرَّابًا لحفيدهِ

ومن كتبهِ المشهورة رحلتهُ في اواسط اسيا . وترجمة حياتهِ . والهيام والترحال في ايران . ورسوم من قلب اسيا . وتاريخ بخارى . والاخلاق في البلاد الشرقية . وعمران الشعوب التركية التترية . واصل المجر والشعب التركي . والعمران الغربي في البلدان الشرقية

وقد توفي بغتة ليلة الخامس عشر من سبتمبر الماضي في بيتهِ ببودابست وهو في الثانية والثمانين من عمرهِ

الاستاذ السر اوليفر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

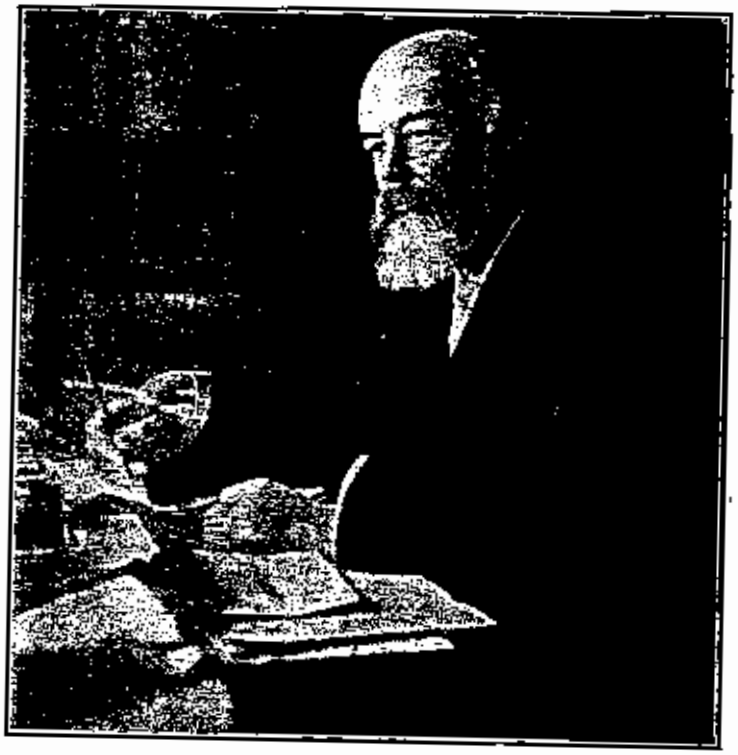

الصف الاعلى من اليمين الدكتور ارهنيوس والاستاذ لورنتز والاستاذ ود والصف الاسفل من اليمين الماجر بارلغ ومدام كوري والسر اوليفر لدج

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٤٢٥

مبدأ الاتصال

(تابع ما قبلهُ)

ثم ان الاشعاع الذي يحسب متصلاً ابتدأت الدلائل تدل على انهُ مركب من دقائق فلم يمت مذهب نيوتن كما كنا نحسب في صبانا . ولا شبهة ان بعض الاشعاع مركب من دقائق منفصلة وان في الاشعاع الاثيري شيئاً من الانفصال اذ تظهر فيهِ نقط ورقط كان صدر تموجاتهِ مؤلف من نقط منفصلة او كما قال السر جوزف طمسن ان مقدم الامواج اشبه بنقط منيرة على ارض مظلمة منها بسطح متساوي الانارة كأن الاثير مؤلف من الياف والامواج تجري في خطوط من القوة الكهربائية كما انبأ فراداي . ويظهر لي ان نيوتن نفسهُ اشار الى شيء من ذلك حينما اضاف على دقائقهِ نبضات الاثير

ونتنظر بحثاً مستفيضاً في الاشعاع يوم الجمعة في قسم الكيمياء والطبيعيات واننا نرحب بالاستاذ لورنتز والدكتور ارهنيوس والاستاذ لنجمن والاستاذ برغسهيم والاستاذ وود وغيرهم فان بعضهم دعوا خاصة لهذا الاجتماع بسبب مباحثهم المهمة في الاشعاع

لماذا هذا الاهتمام الكبير بالاشعاع . لانهُ الحلقة بين المادة والاثير التي دُرست كثيراً وعُرفت اكثر من غيرها . والمرجح انها الحلقة الوحيدة المعروفة عندنا التي تؤثر في الاثير حينما يكون وحدهُ . فان الكهربائية والمغنطيسية مرتبطتان بما يسمى بالالكترون والالكترون يهيج الاشعاع ثم يتركهُ في الاثير الفضاء فيسير فيهِ بسرعة معلومة مستقلة تستمر على درجة واحدة ما دام الاثير حرًّا غير متنوع بالمادة وغير مثقل بها ولذلك فالاشعاع يكشف لنا اموراً كثيرة ويمكن ان تعلم اموراً كثيرة عن حقيقتهِ

الى اي حدٍّ يمكننا ان نستطرد ناموس الانفصال او التجزء اي كون الاجسام مؤلفة من جواهر او دقائق منفصلة معدودة . من العلماء من يقول ان هذا التجزء يمكن استطرادهُ الى حد بعيد جدًّا اما انا فاعتقد اننا نصل اخيراً الى الاتصال وان الاثير يملأ الكون ويصل بين جواهرهِ

وتختلف آراء العلماء في الاثير باختلافهم ولكن اتضح مما تقدم انهُ هو الرابط الذي يربط الكون بعضهُ ببعض ويجعلهُ جسماً واحداً بدلاً من كونهِ اجزاء منفردة مستقلة وهو الذي ينقل كل انواع القوة من الجاذبية العمومية الى جاذبية الالتصاق والالفة الكيماوية فهو مخزن القوة الكامنة في الكون

المادة تتحرك ولكن الاثير يتغيَّر شكلهُ لا غير

وما المرونة في المادة الاَّ نتيجة تغير الشكل الناتج عن انتقال الدقائق ورجوعها الى وضعها فيقع شدها وضغطها على الاثير . والاثير لا يتحرك اي لا ينتقل من مكان الى آخر مع انهُ يرجح ان اجزاءهُ الصغرى مستمرَّة على الحركة الدورانية او الاضطرابية . وهذه الحركة هي سبب ما فيهِ من الصلابة الفائقة . فهو اثقل من كل انواع المواد بزيد ثقلهُ النوعي او كثافتهُ ملايين من المرات على ثقل الرصاص والبلاتين لكن المادة تتحرك فيهِ ولا تجد اقل معارضة لا من الفرك ولا من اللزوجة . ولا تناقض في ذلك لان اللزوجة ليست من لوازم الكثافة . اذا مرَّ جامد في سائل اكتسب شيئاً من السكون من السائل الذي شغل محلهُ اما من حيث المادة والاثير فاكثف المواد كثير المسام جدًّا بالنسبة الى الاثير وجواهرهُ بعيد بعضها عن بعض وفيها وبينها مسافات كبيرة بالنسبة اليها . فجواهر المادة لا تشغل محل دقائق الاثير كما يشغل الجامد محل السائل اذا مرَّ فيهِ بل ان الاثير يتنوع على نوع ما حتى يكيِّف المادة . ولا شبهة ان جزءًا منهُ يتحرك حينئذٍ ولكن حركتهُ ليست مثل حركة جسم غريب بل مثل حركة جزء غير منفصل عن الكل . ولا يظهر ان في الاثير شيئاً من اللزوجة

والاشياء المادية المحسوسة التي عليها مدار العلوم الطبيعية هي المادة في حالة الحركة والاثير في حال الانضغاط . فالمادة في حال الحركة تمثل الحركة الفعلية والاثير في حالة الانضغاط يمثل الحركة المُكنيَّة (Potential اي الكامنة او التي في حيِّز الامكان) . وكل افعال الكون المادي انما هي تغيرات من النوع الواحد الى الآخر . وكلما حدث تغيُّر مثل هذا في القوة حدث منهُ فعل او عمل ولكن القوة لا تنقل في كميتها بل تنتقل من جسم الى آخر ودائمًا من الاثير الى المادة ومن المادة الى الاثير (الاَّ في الاشعاع الذي يتخذ صورة المادة) ومن صورة الى اخرى

ويمكننا ان نقسم انواع القوة التي تفعل باجزاء المادة سواء كانت تلك الاجزاء كبيرة كالنجوم والسيارات او صغيرة كالجواهر والالكترونات انما الى ما ينقل تلك الاجزاء من مكان الى آخر او ما يديرها او ما يهزها واما الى تشكُّل اثيري يظهر لنا مادةً في الاشكال التي ندركها بها بحواسنا

ويظهر لي ان كون الجواهر المادية منفصلة بعضها عن بعض وكونها في حالة الحركة السريعة جدًّا هما من الاسباب التي تدعو الى القول بان القوة مؤلفة من جواهر او دقائق . وعندي ان ما يظهر من التجزؤ في الاشعاع سببهُ تجزؤ دقائق المادة وانفصالها بعضها عن بعض .

فالاضطراب الذي يحدث داخل الجوهر يظهر انهُ متقطّع ومتى حدث قذف جزء من الجوهر بقوة شديدة . والظاهر ان هذا القذف لا يحدث الاّ اذا بلغت الحركة سرعة مخصوصة وحينئذٍ يتغير وضع اجزاء الجوهر وتنتظم انتظاماً جديداً ينتج عنهُ اشعاع اثيري مخصوص ولذلك يظهر الاشعاع منقطّعاً كانهُ ينبثق انبثاقاً او ينفجر انفجاراً بنوب متوالية شبيهة بظهور النجوم الجديدة في السماء

واذا تحرّك عدد من الجواهر معاً وجب ان تتوزع القوة عليها كلها على السواء ولو بعد زمن طويل حسب درجات مجالها (اي المكان الذي تتحرك فيهِ) ولكن الواقع يخالف ذلك اذ يرى ان بعضها فقط يشترك في تلك القوة ولولاهُ لبُدّرت القوة تبذيراً وعليهِ فالمجال الضيق لا يشترك في القوة لانهُ لا يمكن ان يتحرك فيهِ اقل من جوهر واحد

وافضّل ان اعبّر عن ذلك بقولي ان مزاحمات الدقائق العادية لا توجب اهتزاز الجواهر او تهييج الاثير . ولا تهتز الجواهر اهتزازاً منيراً الاّ باصطدام شديد جداً يمكننا ان نسميهُ بالاصطدام الكيماوي . اما حركات الدقائق وصدماتها العادية التي لا تزيد على مليون صدمة في الثانية من الزمان فلا تأثير لها من هذا القبيل الاّ في المواد ذات النور الفصفوري او البرّاق ولولا ذلك لانتقلت القوة كلها من المادة الى الاثير . ولا غرابة في عجز الدقائق عن الاشعاع لانها بطيئة الحركة تكاد سرعة حركتها تقابل بسرعة حركة الصوت وفيها صلابة شديدة ولولا ذلك لشاركت الجواهر في حركتها . والظاهر انها لا تهتز الاّ عند درجة معلومة من التهيُّج وهذا اساس نظرية الكم

(واسهب الخطيب في هذا الباب بكلام لا يفهمهُ غير الذين خاضوا في ابحاث المباحث الطبيعية الحديثة الى ان قال) انهُ يصعب علينا جداً ان نجري الامتحان في الاثير لاننا لا ندركهُ بحواسنا وكل ما نعلمهُ من خواصهِ المادية هو السرعة التي ينقل بها امواج النور ولذلك فهو واسطة طبيعية حقيقية ولو لم يكن ملموساً ولا منظوراً . واهم مكتشفات القرن العشرين الطبيعية هو المذهب القائل ان المادة اهتزاز كهربائي وهو الذي اشار اليهِ المستر بلفور في خطبة الرئاسة التي تلاها في كمبردج سنة ١٩٠٤ [1] . ولم يثبت هذا المذهب حتى الآن ثبوتاً ينفي كل ريب ولكنني اثق انهُ سيثبت على وجه من الوجوه [2] . وخلاصتهُ

---

(١) تجد خلاصتها في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٤

(٢) انظر خطبة السر اوليفر لدج في هذا الموضوع وهي منشورة في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٢ وموضوعها المادة واحدث المذاهب فيها

(١) ان جواهر المادة مؤلفة من الالكترونات وهذه الالكترونات هي دقائق كهربائية سلبية وايجابية

(٢) ان الجواهر مرتبطة بعضها ببعض لتأليف الدقائق بالالفة الكيماوية التي هي جاذبية كهربائية تفعل على ابعاد صغيرة جدًّا

(٣) والدقائق مرتبطة بعضها ببعض بجاذبية الالتصاق التي اعتقد انها ما بقي من فعل الالفة الكيماوية بعد ما ينقص منها بالبعد بين الدقائق

(٤) ان المغنطيسية ناتجة من حركة الالكترونات ولا مغنطيسية من غير مجرًى كهربائي ولا مجرى كهربائي من غير الكترون متحرك

(٥) يحدث الاشعاع من الكترون متحرك بسرعة متزايدة على نسبة مربَّع حركته

لا بدَّ من ان يكون لهذا المذهب نتائج غريبة فانهُ اذا ثبت فكل الافعال المادية انما هي افعال كهربائية اي اثيرية ونحن لا نشعر بحركتها لاننا نحن وآلاتنا وادواتنا متحركون معًا بسرعة واحدة . . . فان الشعور بالحركة يقتضي وجود الاختلاف بين حركتي جسمين فاذا كان الجسمان متحركين بسرعة واحدة في الاثير وفي جهة واحدة لا يشعر احدهما بحركة الآخر

والفضل في وضع هذا المذهب القائل ان المادة اهتزازات كهربائية للاستاذ لورنتز ضيفنا الكريم وهو مذهب ايجابي ولهُ نتائج ايجابية وبواسطته نستطيع ان نجرب تجارب نوضح بها علاقة المادة بالاثير الفضاء وليس كذلك المذهب القائل ان وجود المراد شيء سلبي لانهُ مذهب مبني بنفي وجود المادة

وانا كباحث في الطبيعيات احسب ان الاثير هو الموضوع المتعلق بنا البحث فيهِ بنوع خاص فان الكيماويين يشاركونا في درس الدقائق وسائر العلماء في درس اشكال المادة واما درس الاثير الفضاء فخاصٌّ بعلماء الطبيعيات . وما انا بمنفرد في الاعجاب بالاثير لان عجزنا عن ادراكهِ بحواسنا مع وجودهِ في كل مكان واكتنافهِ لكل الموجودات واتصافهِ بصفات محدودة مقررة كل ذلك يجعلهُ احرى الموجودات بالاعجاب كما انهُ اعظم ما يوجد في العالم المادي

قال السر جوزف طمسن في اجتماع وضع[1] «ان الاثير ليس من اوهام الفلاسفة وتخيلاتهم بل وجودهُ امر ضروري لا غنى عنهُ كالهواء الذي نتنفسهُ . فدرس هذه المادة المسماة بالاثير من اهم ما يجب على علماء الطبيعة »

(١) تجد خطبتهُ في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٤ وموضوعها الطبيعيات وارتقاؤها

والاثير ليس مادة بالذات لكنهُ مادي فانهُ من العالم المادي ويُبحث عنهُ بالوسائل العادية ولكن قولنا هذا لا ينفي انهُ قد تكون لهُ خواص عقلية وروحية تستعمل في عالم آخر كما تستعمل المادة في عالمنا

وهو آلة الاتصال الكبرى . وقد يكون اكثر من ذلك لان بدونهِ لا يكون وجود للعالم المادي على الراجح . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومهِ للاتصال لانهُ يشغل كل المسافات التي بين دقائق المواد ويوصل بينها واذا كان في الامكان وجود المادة بدونهِ فتكون اجزاء منفرقة . وهو الصلة بين العوالم والدقائق ومع ذلك فقد ينكر الناس وجودهُ لانهم لا يشعرون بهِ بحاسة من حواسهم الاَّ بالبصر ولا يشعرون بهِ حينئذٍ رأساً بل يشعرون باشعة النور

ولكن حولنا مواد كثيرة لا نشعر بها فقد قال السر جوزف طمسن في خطبتهِ المشار اليها آنفاً « ان اصغر جزء من عنصر النيون الذي يمكن ان تتحقق وجودهُ جرمهُ جزء من مليوني جزء من السنتيمتر المكعب وفي هذا الجزء عشرة ملايين مليون دقيقة من دقائق النيون واذا قابلنا ذلك بعدد البشر في المسكونة وهو الف وخمسمائة مليون وجدنا ان اقل كمية يمكن اظهارها من النيون يزيد عدد دقائقها على عدد سكان الارض سبعة آلاف ضعف فاذا لم يكن لدينا دليل على وجود الناس اقوى من الدليل على وجود هذه الدقائق وجدنا الارض خالية من السكان » . اذا كان الامر كذلك فلا وجه للقول بان الفضاء خالٍ من الخلائق وانما يحق لنا ان نقول ان ليس عندنا واسطة لاثبات كونهِ مسكوناً بخلائق غير مادية او غير مسكون بها ولا يمكن ان نشعر بوجود هذه الخلائق اذا كانت موجودة ما لم يوجد اتصال بينها وبين المادة . ويحق لنا ان نعامل هذه الموجودات كأنها غير موجودة الى ان تكشف رابطة تربطنا بها اي يحق لنا ان نرتاب من وجودها ولكن لا يحق لنا ان نثبت عدم وجودها

وعندي انهُ لا يحق للعلم ان ينفي شيئاً نفياً مطلقاً ولو كان من قبيل الاثير واذا حاول ذلك اخطأ . والنفي ليس من شؤون العلم وانما شأنهُ الاثبات . والامور المبنية على المجردات لا شأن لها في نفي ما ليس في دائرتها لانهُ قد يُنفى شيئاً فرع من العلم ويُعنى بهِ فرع آخر . فالكيماويون ينفلون الاثير . والرياضيون يتغلون المسائل التي لا تحل الاَّ بالتجربة . وعلماء الطبيعة يغفلون الاحياء . والبيولوجيون لا يدخلون في بحثهم العقل والقصد . والعقليون قد يغفلون منشأ الانسان ومصيرهُ . وعلماء الميكروسكوب لا يلتفتون الى الكواكب . ولكن هذه الاشياء يجب ان لا تنكر ولو لم يلتفت اليها . والانكار ليس اقرب الى الصواب من الاثبات .

وكثيراً ما يكون الشك لغير سبب موجب كالاثبات لغير سبب بل قد يصير الشك اثباتاً سلبيًّا يعتقد صاحبهُ صحتهُ كأنهُ حقيقة مقررة . فيجب على العلماء ان يجتنبوا هذا الشك اجتنابهم الاثبات الذي لا دليل عليهِ . وما احسن ما قيل ان الشك في كل شيء والتصديق بكل شيء حلاَّن يلجأ اليهما الذين لا يريدون ان يشغلوا عقولهم

والنفي القاطع اصعب من الاثبات لانهُ يقتضي علماً واسعاً شاملاً لكل شيء . والعلم لذاتهِ ناقص لانهُ مبني على التجريد اي على استخلاص القواعد الكلية بالاستقراء من الحوادث التي تنطبق عليها تلك القواعد وترك ما سواها . وانقطاع بعض علماء الطبيعيات لاشغالهم يجعلهم يعتقدون صحة نواميس الطبيعيات والكيمياء وكفاءتها لكل شيء فلا يلجأون الى فرض اسباب غير معروفة مع انهم يرون في الاحياء من الدربة والاختيار ما لا يفسَّر لان اشغالهم تقضي عليهم بتتبع نواميس المادة الطبيعية والقوة في كل تفرعاتها . وعندهم ان الافعال الطبيعية والكيماوية العادية كافية لتعليل كل ظواهر الحياة الارضية وانهُ لا توجد نواميس جديدة للحي ونواميس قديمة للجماد بل النواميس واحدة للاثنين فاذا قال احد بغير ذلك فعليهِ تقديم البينة . فان ناموس حفظ القوة ونواميس التركيب الكيماوي ونواميس التجاري الكهربائية والاشعاع وكل نواميس الكيمياء والطبيعيات يمكن اطلاقها على الاحياء من غير تردُّد . وهل هي كافية او غير كافية هذه مسألة اخرى ولكن لا شبهة في انها لازمة للاحياء وعلى الفيسيولوجي ان يبحث عن افعالها في كل عمل حيوي . وقد صرَّح بذلك زعماؤهم قال بردن سندرسن في تحديد الفسيولوجيا انها درس الصفات القابلة للتحقق التي من نوع كيماوي وطبيعي وقال في خطبتهِ امام فرع التشريح والفسيولوجيا في مدينة يورك سنة ١٨٨١ ما يأتي

« تطول ما هي حقيقة التقدُّم العظيم الذي حدث في اواسط هذا القرن اذا حدَّدتهُ بقولي انهُ العصر الذي مات فيهِ المذهب الحيوي . فقبل هذا العصر كان اكبر البيولوجيين مثل يوَّس مُلَّر يقول ان معارف البيولوجيين للظواهر الحيوية والطبيعية كانت غير كافية لردها كلها الى نوع واحد ولذلك كانت الطريقة المتبعة درس افعال الحياة النسبية ومن ذلك الوقت صار من الامور الاساسية في عملنا ان لا نحسب عملاً حيويًّا انهُ مفهوم ما لم نردَّهُ الى اصولهِ الطبيعية . وقد ثبت الفسيولوجيا على هذا المبدإ وكان اكبر مساعد لذلك التقدُّم الذي تقدَّمهُ علم الكيمياء وعلم الطبيعيات ولاسيما المباحث التي اثبتت مبدأ حفظ القوة . والباحثون الذين يبحثون الآن بهمة ونشاط في كل المسكونة لاجل تقدُّم علم الفسيولوجيا امامهم غرض واضح محدود وهو ان يعرفوا الافعال الكيماوية والطبيعية التي تقوم بها الحياة

الحيوانية والآلة التي تنتظم بها هذه الافعال لفائدة الجسم الحي . وكلما احكمنا توجيه بحثنا الى هذه الغايات اسرعنا الى الغرض الاسمى وهو استخدام معارفنا لزيادة سعادة الانسان »

والاستاذ غوتش الذي فقدناهُ بالامس عبَّر عن ذلك باكثر صراحة حيث قال « ان القول بان الظواهر الفسيولوجية ناتجة عن قوة حيوية ليس من العلم في شيء »

لقد قال بعض منتقديَّ اني من الحيويين وانا كذلك على نوع ما ولكني لست من الحيويين اذا أُريد بالقوة الحيوية قوة غير محدودة مناقضة لنواميس الكيمياء والطبيعيات . فان هذه النواميس ثابتة مقررة ويمكن ان يزاد عليها لا ان ينتقص منها . وغرض العلم استقصاء افعالها في كل مكان بالتدقيق . ولا لوم على من يشمئزُّ من اسلوب اهالي العصور الوسطى الذين كانوا يزجُّون الاسباب الروحية والمجهولة في علومهم الوهمية . ولا شأن للخفايا في العلم لانها تمنع البحث والامتحان كما اذا نسبنا كل شيء الى الله ووقفنا عند هذا الحد فاننا لا نفسر شيئاً حينئذٍ . ثم ان نسبة كل شيء الى الله كسبب بعيد صحيحة ولكن معرفة السبب البعيد لا تمنع معرفة الاسباب القريبة وهي الاسباب التي يجب على العلم ان يبحث عنها ويكتشفها بالصبر والتأني كالبرق والزلازل وما اشبه فان العلم اكتشف اسبابها القريبة اما اكتشاف سببها البعيد فليس من موضوعهِ وانما موضوعهُ البحث عن الاسباب القريبة وقد وُضع لهذه الغاية وهي الغرض الذي يرمي اليهِ العلماء

اذا قلنا ان العصارة تصعد في النبات بفعل حيوي لم نفسر شيئاً لان لصعود العصارة سبباً طبيعياً يجري على ناموس طبيعي معلوم يمكن كشفهُ وقد كُشف

وتاريخ العلم يدلُّ على ان العلماء كانوا دائماً يعتقلون الاسباب التي يجهلونها كأنها غير موجودة . لان الاسباب التي لها وجود حقيقي يجب ان يثبت وجودها بالبحث حتى يحق لها ان تحسب اسباباً علمية

ولكن لا يخفى ان كثيرين من البيولوجيين يقولون انهُ لا بدَّ من فرض بعض الاسباب قبلما يتيسَّر تفسير كل افعال الاحياء فمنذ عهد مير J. R. Mayer ثبت رويداً رويداً ان الحي يجري على نواميس الطبيعيات مثل غيرهِ من الاحياء وهو يعمل عملهُ ولكنهُ يبتدع اساليب لم يكن الجري عليها ممكناً بدونهِ وينتج نتائج لا تنتج الاَّ منهُ وذلك من بناء عش الطائر الى قرص العسل ومن بناء الصندوق الصغير الى المركب الكبير . اذا رأينا بارجة تطلق المدافع امكننا تفسير اطلاقها لها بعلم القذائف ولكننا اذا رأيناها تسدِّد قنابلها على سفن الاعداء وتتجنب سفن الاصدقاء لم نرَ لذلك تفسيراً في علم من العلوم . وفي كل فعل من

افعال الاحياء كثير من الامور الطبيعية والكيماوية والميكانيكية ولكن لكي يمكننا ان نفهمهُ كلهُ تمامًا لا بدَّ لنا من شيء وراء هذه العلوم

ان مسير النيران وحركة الزوابع يمكن الانباء عنهما بآلات لا بلاس بل يمكننا ان نعرف حركات دقائق الاجسام وسرعتها ونواميس تزايدها ولكن ما من احد من علماء الرياضيات يقدر ان يحسب النقطة التي تدور فيها الذبابة في البيت . اذا دخلت عنكبوتة مقياس الكهربائية رأى صاحبهُ في حركتهِ ما لا يستطيع تفسيرهُ ولو اكتشف العنكبوتة فيهِ لانها تُدخل اليهِ قوة تفوق القوى الطبيعية . والمجاسر واقول ان الحياة تُدخل بين نواميس الطبيعة شيئًا مملوءًا من القصد لا يمكن معرفتهُ بالحساب فهو شيء يضاف الى النواميس الطبيعية ويجري عليها ولا يناقضها . ونحن لا نرى الحياة ولكننا نرى نتائجها . فان الاحياء تحوّل المواد غير الآليَّة الى مواد آلية ونحن نرى فعلها وليحث فيهِ والظاهر ان الحياة لازمة لهذا التحويل وهو يحدث تحت ارشادها مع انهُ في ذاتهِ فعل كيماوي

ثم ان الفساد والاختمار وتطهير الابهر ليست افعالاً كيماوية محضة . نعم هي افعال كيماوية ولكنها تبتدىء وتجري بواسطة اجسام حيَّة . ولا يجوز لعلماء البيولوجيا ان يتركوا علمهم للكيماويين والطبيعيين حينما نرى علم الطب قد صار بيولوجيًّا وجعل رجال السياسة يهتمون بعلم البيولوجيا لجعل الاقاليم الحارة صالحة لسكنى اهل الهمة والنشاط . البيولوجيا علم مستقل وعلم الكيمياء وعلم الطبيعة من خدمهِ لا من اسيادهِ

ورجال العلم اعداء للخرافات وحقهم ان يكونوا كذلك لان اكثر الخرافات الشائعة حريٌّ بالازدراء ولكن قد يطلق اسم الخرافة خطأً على اعمال لا يُعرف سببها فان بعض الاعمال التي يعملها علماء البيولوجيا يظهر للناظر غير المدقق انها من قبيل الخرافة . مثال ذلك ان السمرونتلذ رُمن لا يقيم مذبحًا لمقاومة الملاريا ولكنهُ يصبُّ لها الزيت في البرك كأنهُ يقرب القرابين لالهتها . واي شيء اغرب مما فعلتهُ حكومة الولايات المتحدة لمنع الامراض من بنانما وهو انها امرت بخرق كل الصفائح التي تلقى على الارض (لكي لا يجتمع فيها ماء المطر فيتولد فيهِ البعرض الذي ينقل الدذوى بالحمَّى الملارية من المصاب الى السليم) ومما اشار بهِ علماء الزراعة الآن لتخصيب الارض وهو ان تضرم النار عليها او تعالج بالسموم القتالة كأن المراد حرقها او قتلها

يتلوهُ البقية

ويدرو امام الامبراطورة كاترينا

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٤٣٣

ديدرو DIDEROT

الذين طالعوا خطبة السر اوليفر لدج المنشورة في الصفحات السابقة وخاضوا معهُ عباب الاثير ورأوا حولهُ ملايين الجواهر وكلّ دماغهم من تصوُّر المجرَّدات يجدون شيئاً من الراحة في ترجمة ديدرو الكاتب الفرنسوي الشهير. رأينا فصلاً في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر فاعتمدنا عليهِ في كتابة الصفحات التالية راجين ان تنهض همم المتعلمين من ابنائنا لتأليف كتاب جامع لاشتات العلوم والفنون كالانسكلوبيديا الفرنسوية التي الَّفها ديدرو

ولد ديدرو في ٥ اكتوبر سنة ١٧١٣ اي منذ مئتي سنة تماماً وهو من عائلة سكنت ولاية شمپانيا بفرنسا قبل ذلك بمئتي سنة تعمل السيوف والسكاكين وما اشبه. وكان بكر والديهِ فاختاراهُ للخدمة الدينية على جاري عادة تلك الايام فدرس في مدرسة الجزويت التي في بلدهِ ولكنهُ ابى ان ينتظم في سلك خدَمَة الدين فعرض عليهِ ابوهُ ان يعلمهُ الطب او الفقه فابى قائلاً انهُ لا يتعلم الطب لئلاَّ يصير عملهُ قتل الناس ولا الفقه لئلاَّ يصير شغلهُ فضّ مشاكلهم وهم اولى منهُ بفضها. فقال لهُ ابوهُ اذاً ماذا تريد ان تفعل فاجاب «لاشيء اني مولَع بالمطالعة وانا راضٍ بها ولا اطلب سواها». فقطع عنهُ النفقة واضطرهُ الى السعي في طلب الرزق حاسباً انهُ يعود اليهِ نادماً كالابن الشاطر. لكنهُ لم يعد بل دخل بيت رجل من الاغنياء لتعليم اولادهِ ثم سئم هذا العمل وطلب الانصراف فقال لهُ صاحب البيت اطلب ما شئت من الاجرة وابقَ عندي معلماً لاولادي فقال لهُ ديدرو «انظر الي فقد اصفرَّ وجهي اصفرار الليمون. انا احاول ان اجعل اولادك رجالاً وهم يحاولون ان يجعلوني ولداً. لست اشكو قلة الراتب ولا سوء المعاملة لان راتبي اكثر مما استحق ومعاملتكم لي على غاية الوداد ولا اريد ان اعيش احسن مما انا عائش هنا ولكنني اريد ان لا اموت»

لا شبهة في انهُ عرف ما في صناعة التعليم من شبكات العزائم لمن كان حاد التصور عالي المطالب حتى فضَّل الجوع في مذود على التنعُّم في مدرسة يعلّم فيها مبادىء الصرف والنحو والى الدود والجوع صار وجعل يكتب العظات للقسوس ويترجم الكتب للطباعين. وتزوج زيجة لم يوفَّق بها وجعل يطوف في شوارع باريس وثيابهُ اسمال وجواربهُ سوداء مرقوعة بخيوط بيضاء لمهارة زوجتهِ وحسن ذوقها وكانت فوق ذلك سليطة اللسان كبيرة الدعوى كثيرة التمرُّد فلما دالت دولة الجمال ثقلت على طبعهِ فهجرها ولكنهُ بقي ينفق عليها على جاري

عادته . وتعرّف بفتاة ذكية العقل كبيرة النفس فجعل يتردد على مجلسها فعرّفته بكثيرين من نخبة رجال العصر

وبلغه ان كتبيًّا اسمه لبريتون عزم على ترجمة انسكلوبيذيا تشمبرس الانكليزية الى اللغة الفرنسوية فعرض نفسه لهذا العمل فاستدعاه لبريتون اليه وسمع حديثه فرأى منه رجلاً فوق ما قدّر كثيراً لان ديدرو قال له « ان ترجمة الانسكلوبيذيا الانكليزية امر حسن لذاته ومسهل جدًّا وانا قادر عليها ولكن لماذا لا يكون لفرنسا انسكلوبيذيا خاصة بها واذا كان لا بدَّ من تأليف كتاب مثل هذا فلنؤلف كتاباً جامعاً في مجلدات كثيرة يحوي كل ما تحتاج اليه البلاد وتود معرفته الامة ولاسيما بعد ان كثرت المكتشفات العلمية وقد حان الزمان لجمعها وتبويبها وماذا يمنعك عن هذا العمل الجليل وان كانت النفقة كثيرة لا تستطيع القيام بها وحدك فعلى م لا تستدعي غيرك من طابعي الكتب وللاشتراك معك »

ولم يخرج ديدرو حتى كانت الحمية قد دبت في نفس لبريتون وصار اشد غيرة منه . ولعلَّ ما دفع ديدرو لذلك لم يكن مجرَّد الغيرة على النفع العام بل كان له غاية اخرى وهي ان يجد عملاً دائماً يعمل فيه وباباً واسعاً للعيشة ولكنه كان يحب العلم ايضاً ولو كانت علومه سطحية وكان يعلم ان الانسكلوبيذيا لا بدَّ من ان تحوي اشياء كثيرة مما لا يعلمه هو ومما يفوق طوره ومن المحتمل انه اغترَّ بنفسه حينئذٍ فحسب ان هذا الكتاب يغيّر البلاد من حال الى حال . والواقع انه غيّرها فعلاً وكانت له اليد الطولى في الثورة الفرنسوية وما نتج عنها من شرّ قريب وخير بعيد لانه رمى الى غاية سامية وهي اظهار مضار الاوهام ومعايب الحكام . وكان ديدرو شديد الوطأة شديد العداء ولولا حكمة لبريتون وسياسته في حذف جانب كبير مما كان ديدرو يكتبه لما استطاع ان يتم عمله

وهذه السياسة لم ترضِ ڤولتير الذي كان من المساعدين له في انشاء الانسكلوبيذيا لانه كان جسوراً ومن طبعه ان يوقع بخصمه ويمزق لحمه ويسحق عظامه اذا رأى في ذلك ما ينشأ غيظه او يثير طبعه . ولا يهمه ان يدخل في الكتاب ما يرضيه ولو آل الى خراب طابعيه . فود ان يملأ الانسكلوبيذيا بالتهكم على رجال الدين والعقائد الدينية واتَّهم ديدرو بانه كان يحاول ابطال التعصب الديني لكي يحيي الرياء في نفوس الناس . لكن ديدرو بقي ملتزماً الحذر على قدر امكانه ولو كان رأيه مثل رأي ڤولتير . وطعن العقائد الدينية والفضائح السياسية طعنات مصميات ولكنه اراش سهامه بريش من الذهب . ولم يستخف بقوة خصومه بل قال ان الغاية تبرر الواسطة فاستعمل الرياء حاسباً انه سواغ لا بدَّ منه

في تلك الحال والاَّ نقوّض عملهُ من اصلهِ او هو مثل الزيت للآلة لكنهُ كان بخيلاً بزيتهِ فتناول لبرتون ابريق الزيت والمقراض وجعل يصب الزيت ويعمل المقراض و يزيد ويحذف حتى نقل شكوى القضاة وملتزمي الاعشار ومقتضي الحقوق ومحتكري العقول ما امكن . فعل ذلك خفية عن ديدرو فلما عرف ديدرو ما جرى قامت قيامتهُ فسخط وصخب ولقب لبرتون اشنع الالقاب فقال انهُ حمار ووحش اتلف ما اشتغلهُ عشرون رجلاً من اصدق الناس وافضلهم وعمل ما لم يرَ لهُ نظير في عالم التحرير الى ان قال لهُ « لقد انفقتُ في عملي راحتي وساعات اكلي ونومي وبكيت غيظاً امامك واسفاً وراءك خمساً وعشرين سنة وتعبت تعباً يشملهُ الخوف والخطر وكل نوع من المؤلمات فقام مجنون احمق واتلفهُ في ساعة يا للعار ويا لشماتة اعدائنا بنا ان كنتَ جباناً يخاف العواقب فلماذا اندمت على هذا العمل واشركت غيرك في مخاطرهِ . لو كان الامر في يد امرأتك لما فعلتَ ما فعلتَ »

لكنهُ لم يترك الانسكلوبيذيا بل بقي مصمماً على ان يتمها الى آخرها ويجعلها درة في تاج فرنسا وخزانة فوائد لنوع الانسان . وطلبت منهُ الملكة كاترينا ملكة روسيا ان ينتقل بها الى بطرس برج وطلب منهُ ڤولتير ان ينتقل بها الى لوزان بسويسرا فلم يسمع لهما . وخانهُ بوصيه وهجرهُ دلمبر وكانا شريكين لهُ في التأليف اما هو فبقي على عزمهِ وواظب على عملهِ واتم الانسكلوبيذيا واثبت للملاَّ انهُ اين بجدتها

وكان خصومهُ قد حاولوا صرفهُ عن هذا العمل فلما ظهر الجزء الثاني ادعوا انهُ مفسد للاخلاق مثير للشعب على الحكومة واستصدروا امراً بتوقيفهِ واخذ كل ما عندهُ من الاوراق والمسودات او يزج في السجن . فاخذوها لا ليلقوا العمل بل ليتموهُ حسب مرامهم ولكن تعذَّر عليهم ان يقرأوا خطهُ ويفكوا رموزهُ . ولما رأت الحكومة عجزهم اخذت الاوراق منهم وردتها الى ديدرو وطلبت منهُ ان يتم تأليف الانسكلوبيذيا ففعل ولم يبطرهُ انتصارهُ على خصومهِ لانهُ كان يعلم ان قوتهم لا يستخفُّ بها فالتزم جانب الحذر وتجنب المشاكل على قدر الطاقة حاسباً ان اظهار الحق افضل شيء لنفي الاباطيل . واظهار الحق لا يقتضي حرباً ولا خصاماً بل يقوم بث الحقائق العلمية المقررة فانها تفعل فعل النور في نفي الظلمة لكنهُ لم يكتفِ بارشاد عقلهِ بل كثيراً ما كان يطاوع اميالهُ ويحارب خصومهُ بسلاحهم فيستعمل التهكُّم تارة والمراوغة اخرى ويفرط في احترام الشيء لكي يميل بالقارىء الى ازدرائهِ

وجرى على هذه الخطة في اظهار معايب الحكومة فوصفها كما هي ولم ينتقدها ولا عرَّض بها بل حسب ان التشهير وحدهُ كافٍ لحملها على اصلاح الخلل ومداواة العلل او لقيام الامة

عليها . واذا زاد على ذلك اشار بشيء من الاصلاح وذكره على سبيل النصيحة ففهم اهل عصره غرضه تمام الفهم واقبلوا على الاشتراك في الانسكلوبيذيا وكان عدد المشتركين فيها الفين حينما صدر الجزء الاول منها فزادوا رويداً رويداً حتى بلغوا اربعة آلاف وصدر آخر جزء منها سنة ١٧٦٥ وآخر جزء من صورها سنة ١٧٧٢ . وكان راتب ديدرو السنوي نحو مئة وعشرين جنيهاً مع ان الملتزم من ملتزمي تقديم الميرة للجيش كان يكتسب في يومه ثمانمئة جنيه

وقد قال لورد مورلي في ترجمة ديدرو « ان من يقرأ الآن تلك الانسكلوبيذيا لا يجد فيها شيئاً يستوجب ما قام عليه من القيامة وما اتهم به من الالحاد بسببها اذ ليس فيها شيء من التعطيل ولا شيء من التهجم الصريح على اسرار الدين الاساسية ولا تشهير واضح بشيء من عيوب خدمته الرئيسية ولكن منهاج الكتاب ساء اهل السيادة حينئذٍ لانهم لم يكونوا قد اعتادوا سماع من يتقدمهم كأنه كفوء لهم ثم ان ديدرو حسب ان العدل يقضي بحرية الدين وحرية البحث الفلسفي وان عمل الحكومة انما هو الاهتمام بمصالح الرعية . والانسكلوبيذيا من اولها الى آخرها سلسلة متصلة في تعظيم شأن العلوم والصنائع وذلك كله كان قذًى في عيون اهل السيادة في فرنسا في ذلك الحين »

والّف ديدرو كتباً كثيرة غير الانسكلوبيذيا وانشأ كثيراً من الرسائل في مواضيع شتّى وقد جمعت كتبه وطبعت في عشرين مجلداً ضخماً ومع ذلك لم يكن في سعة من العيش . ولما كبرت ابنته واراد تزويجها لم يكن عنده مهر لها وبلغ آذان الامبراطورة كاترينا ما هو فيه من الضيق فارسلت رسولاً الى باريس اشترى منه مكتبته بالف جنيه وابقتها في باريس واقامته حافظاً لها براتب سنوي . وسنة ١٧٧٣ ذهب الى بطرس برج ليوفع شكره لها بنفسه فرحّبت به وجعلت تجالسه وتجادله في مواضيع فلسفية مختلفة وكانا يحتدّان في الجدال على ما لم تجر به العادة في تصور الملوك . وقد اتفق الرواة على انه كان من اقدر الناس في الحديث وسرد الادلة وانه كان في الكلام امهر منه في الكتابة

ورجع من بطرس برج سنة ١٧٧٤ وعاد الى التحرير والتحبير الى ان وافته المنية سنة ١٧٨٤ . وقد كتب لورد مورلي الفيلسوف الانكليزي ترجمة مسهبة له طبعت سنة ١٨٧٨ وكتب اخيراً ترجمته في الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا الانكليزية

الانتفاع بالميكروبات

قال الشيخ الرئيس ابن سينا في كلامهِ على حميات الوباء « انهُ يجب ان تبرَّد بيوت المصابين بها ويصلح هواؤها . واصلاح الهواء يكون بعضهُ بحسب الاصحاء وبعضهُ بحسب الاصحاء والمرضى . اما الذي بحسب الاصحاء فيكون الغرض فيهِ ان يجفف الهواء ويطيِّب وتمنع عفونتهُ باي شيء كان فيصلح لهُ العود الجام والعنبر والكندر والمسك والقسط الحلو والميعة والسندروس والجلنبيت وعلك القرنفل والمصطكى وعلك البطم واللاذن والعسل والزعفران والسرو والعرعر والاشنة والغار والسعد والاذخر والابهل واللوز المر . وقد يتخذ من هذه مركبات ويرش البيت بالخل والجلنبيت . واما بحسب الاصحاء والمرضى فالتبخير بالصندل والكافور وقشر الرمان والآس والتفاح والسفرجل والابنوس والساذج والطرفا والرياس . ويجب ان يكرر التبخير بذلك » . وقال في التحرز من الوباء « انهُ يجب ان يصلح الهواء بما ذكرنا ويحال الغذاء الى الحموضات »

ومفاد ذلك ان القدماء في عهد ابن سينا وما قبلهُ كانوا يعلمون ان الهواء يحوي احياناً اشياء ضارَّة تسبب الامراض وان انقاءها او التحرُّز منها يكون باصلاح الهواء او بتطهيرهِ

وقال السر وليم رمزي في مقالة كتبها حديثاً ان القدماء كانوا يعتقدون ان عدوى الحميات تنتقل بالهواء وكانوا يحذرون من لمس المحمومين وتنفس الهواء الذي يتنفسونهُ ويضرمون النيران في الازقة والشوارع لكي تحرق جراثيم الامراض واستشهد بالكاتب دي فو الذي كان وقت تفشي الطاعون في مدينة لندن فانهُ قال عن رجل عملهُ نقل جثث الموتى انهُ كان يتقي العدوى بوضع الثوم والسذاب في فيهِ وان زوجتهُ نجت من الطاعون لانها كانت تغسل يديها دواماً وتصبُّ الخل على خمارها وكان الناس في ذلك العصر يشيرون بحرق الزفت والكبريت والبارود في البيوت تطهيراً لها من جراثيم الوباء

وذكر ابن سينا الطاعون واشكالهُ وطرق علاجهِ ولم يشر الى كيفية الوقاية منهُ كأنهُ حسب انهُ غير ممكن

ولما فشت الكوليرا في القطر المصري في يوليو واغسطس سنة ١٨٣١ مات بها ٣٠٠٠ من الجنود المصرية و٨٠٠ من البحارة و٣ الى ٤ في المئة من السكان . وكتب حينئذٍ المستر جون بارکر الذي كان قنصلاً جنرالاً لانكلترا في القطر المصري الى اخيهِ ادورد وكان قنصلاً

لدولته في القاهرة يقول ان الاوربيين الساكنين في الاسكندرية والقاهرة لا يصابون بالجرب مع انهُ اشد الامراض المعدية عدوى وما ذلك الا لان اسلوب معيشتهم لا يعرضهم للعدوى لانهُ انما يعدي بالاتصال ومن رأي الدكتور كرستي ان الكوليرا تعدي بالاتصال ايضاً ولا تعدي بسواهُ . ثم كتب اليهِ بعد شهر من الزمان (في ١١ سبتمبر سنة ١٨٣١) يقول بلغ عدد الوفيات في القاهرة (بالكوليرا) ٤٩ في اليوم اما التقارير الرسمية لعدد الوفيات في ٨ و٩ و١٠ و١١ من هذا الشهر فهو ٤ و٥٦ و٣٨ و٤٠ . وانا مقتنع الآن ان الكوليرا تعدي بالاتصال وان القصد دواؤها الفعال

وجاء في الكتاب الذي جمعت فيهِ مكاتيبهُ ان الطاعون ظهر بغتة في بيت مري قرب بيروت وذلك في ربيع سنة ١٨٣١ في دير الترا سنتا (الارض المقدسة) فمات بهِ الرهبان كلهم وهم ستة والمترجم وبلغ عبد الله باشا والي عكاء الخبر فخوَّط الدير بنطاق صحي من الجنود فلم ينتشر الوباء في البلاد فثبت بذلك ان الوباء معدٍ . ويقال ان سبب انتشار الوباء في ذلك الدير انهُ اتاهُ رئيس جديد من اوربا ورأى هناك صندوقاً قديماً فسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ لراهب توفي بالطاعون منذ ثماني عشرة سنة فوضعت ثيابهُ فيهِ لترسل الى ذويهِ . فامر الرئيس بفتح الصندوق وطُيّرت الثياب فانتشر الوباء منها واصاب الرهبان كلهم

ويذكر المتقدمون في السن من قرّاء المقتطف ان الناس كانوا يعتقدون بعدوى الكوليرا والجدري ونحوهما من الاوبئة وانهم كثيراً ما كانوا يضرمون النيران في الشوارع ويحرقون البخور والكبريت ونحوهما من المواد ذات الرائحة الشديدة لتطهير الهواء من العدوى ولو لم يعرفوا حقيقتها . وقال لنا غير واحد من سكان هذا القطر انهم كانوا يأكلون الثوم فيجدونهُ خير دواء للكوليرا وخير واقٍ منها . ولكن الدواء الناجع الذي كانوا يلجأون اليهِ في هذا القطر وسائر الاقطار هو الهرب من الوباء مهما كان نوعهُ لان الاعتقاد كان راسخاً في نفوسهم ان الكوليرا دالا معدٍ والهرب من المصابين خير واقٍ منهُ والظاهر انهم بنوا هذا الاعتقاد على سلامة الذين يهربون الى بلاد غير موبوءة

وسرّت السنون والاطباء لا يعلمون اسباب العدوى لانها اخفى من ان تمس باليد او ترى بالعين ولولا اختراع الميكرسكوب الذي تغوص بلورتهُ في السوائل حتى ترى بها الاشياء الدقيقة جداً لبقينا حتى الآن نجهل اسباب الامراض

عصر الناس الخمر وصنعوا الخلّ وخمّروا الخبز من قديم الزمان وهم لا يعلمون سر ما يفعلون كما لا يعلمون سر الامراض الى ان قام باستور وبحث عن سبب الاختمار فاكتشفهُ ثم بحث

عن سبب الداء الذي يعتري دود القز ويميتهُ فاكتشفهُ ايضاً . وبحث عن سبب البثرة الخبيثة التي تصيب المواشي والبشر فاكتشفهُ وبحث عن سبب كوليرا الدجاج فاكتشفهُ . وعرف ان اسباب ذلك كلهِ احياء صغيرة مختلفة الانواع وهي التي سميناها بالميكروبات . نوع منها يسبب اختمار عصير العنب فيصيرهُ خمراً ونوع يقع في الخمر فيصيرها خلاً ونوع يفعل بالعجين فيخمرهُ ونوع يقع في اللبن فيحمضهُ ونوع يصيب دود القز فيمرضهُ ويميتهُ ونوع يدخل ابدان المواشي فتصاب بالبثرة الخبيثة ونوع يدخل ابدان الدجاج فتصاب بالكوليرا

وبينما هو يبحث في كوليرا الدجاج ترك الآنية التي فيها ميكروبها ونسيها حيث وضعها ثم لما انتبه لها واستعملها في تلقيح الفراخ السليمة وجد ان فعلها بها صار اضعف من فعل الميكروبات الجديدة فاستنتج ان تركها المدة الطويلة اضعفها وانها قد تقي الفراخ التي تلقحت بها من كوليرا الدجاج الشديدة كما يقي لقاح الجدري الانسان من الجدري الثقيل . فكان كما استنتج . وهذا الاكتشاف العرضي غيَّر منهاج الطب وهدى الاطباء الى التطعيم الواقي والشافي من الدفتيريا والكوليرا والتيفويد والطاعون والحمَّى الصفراء وشلل الاطفال وما اشبه . ولا يزال امام الاطباء امراض كثيرة لم يكشف ميكروبها او كُشف ولم تكشف طريقة لاضعاف فعلهِ وجعلهِ لقاحاً واقياً ولكن العلماء الباحثين في هذا الموضوع لا يزالون يوالون البحث اما لكشف لقاح او لتركيب دواء

واكتشاف الميكروبات مهَّد السبيل لمعرفة ما يقع في الجراح من الفساد فثبت ان كل صديد سببهُ ميكروبات الفساد ولولاها ما فسد جرح ولا تكوَّن صديد ولا اتتن لحم فاذا كانت الآلات الجراحية وايدي الجراحين نظيفة ووقيت الجروح من وصول ميكروبات الفساد اليها التأمت سريعاً من غير دغل . فبلغت الجراحة بهذا الاكتشاف حدًّا لم يكن ليخطر على البال وصار الجراحون يعملون العجائب كما يرى من وصف اعمالهم التي نشرحها في المقتطف من وقت الى آخر

والظاهر ان معالجة الامراض الميكروبية المعدية بالتطعيم او بميكروبات خفيفة ترجع الى مواد كيماوية تولدها الميكروبات او يولدها الجسم حين مقاومتهِ لها وان الفعل الشفائي الحقيقي ليس للميكروبات نفسها بل لهذه المواد الكيماوية والميكروبات واسطة لها وهذا هو العلاج الكيماوي الذي شرحهُ الاستاذ ارلخ في خطبتهِ التي نشرنا جانباً منها في الجزء السابق وسننشر تتمتها في هذا الجزء

السلم والحرب

(تابع ما قبلهُ)

وفكرة السلم قديمة جدًّا يرجع تاريخها الى الجاهلية في بلاد اليونان فقد عثر في اطلالها على آثار عديدة ثبت منها ان القبائل التي كانت تعبد الهًا واحداً كانت تتضامن وتتعاون على حماية هيكل معبودها ولا يسمح لاحداها بشن الغارة على الاخرى. ثم تدرجت من ذلك الى ان صارت تعقد مؤتمرات يحضرها مندوبوها فيقررون ما يصلح شأن قبائلهم ويعلي منارها ويوطد اركان الاتفاق بينها ويعزز قوتها حتى لا تجرأ القبائل الاخرى المتضامنة على الاعتداء عليها. وكانوا يسمون هذه المؤتمرات « المجامع الامفستونية » وكانت تحاكي في غاياتها ومراميها المؤتمرات التي تعقد الآن بين الدول الاوربية المتحالفة او المتفقة

وجاءت السلطنة الرومانية فربطت معظم اجزاء العالم بعضهُ ببعض بفضل الحكم المركزي الذي سارت عليهِ فعمَّ السلام فيهِ زمناً طويلاً

وقام على اثرها النظام الاقطاعي وقد كان الغرض منهُ تضامن اصحاب الاقطاعيات الذين يدينون لملك واحد وتآزرهم في حالتي الدفاع والهجوم لا تأييد السلم مباشرة ومع ذلك فقد كان في تضامنهم شيء من الاتحاد الذي هو اقوى اركان السلم

وكان نفوذ كنيسة رومية في ذلك الزمان عظيماً جدًّا لبذلتهُ في توثيق عرى التصافي بين امراء الاقطاعيات وسنت شريعة سنة ١٠٣١ لمنع القتال وسفك الدماء في الايام المقدسة والاعياد سمتها « هدنة الله » في الارض

وكرت الايام وتعاقبت السنون الى ان ارتقى الملك هنري الرابع عرش فرنسا فرأى بدهائهِ وبعد نظرهِ انهُ لا بد من وقوع الحرب بين ممالك اوربا الكاثوليكية وممالكها البروتستانية فخطر لهُ ان يوفق بينها ويحول دون وقوع الخطر الذي كان يتهددها فوضع مشروعاً لذلك سماهُ المؤرخون « المشروع العظيم » ولكن الاحوال لم تمكنهُ من تنفيذهِ فنشبت الحرب بعد خمسة عشر عاماً وظلت سجالاً ثلاثين سنة وهي الحرب المعروفة « بحرب الثلاثين سنة »

واشرقت انوار التمدن في اوربا فنبه اهلها من غفلتهم ورأى سكان البلدان التي كانت منقسمة الى امارات عديدة لا يجمع بينها سوى وحدة اللغة وتماثل العادات والاخلاق ان تفرقها لا يكسبها الاَّ الخسران والامتهان فاجمعت على الاتحاد لتصير أمة واحدة حرة تدافع

عن كيانها وتذود عن مصالحها من اعتداء المتعدين وطمع الطامعين بدلاً من ان يفكر فيها الغرباء ويستبدوا بافرادها ويستنزفوا اموالها . وكان الشعب السويسري في مقدمة الشعوب التي اتحدت فاستجمع قواه التي كانت منصرفة الى مناواة بعضه بعضاً وهب في وجه التما فنزع نيرها الثقيل عن عاتقه ثم عمد الى اصلاح شؤونه الداخلية وجرى على سنة الارتقاء حتى صار من اعلى الشعوب كعباً في التمدن واشدها تمسكاً باهداب الحرية

وذاعت تعاليم جان جاك رسو وفولتير وغيرهما من دعاة الحرية ووصلت الى العالم الجديد فاستنارت بها اذهان اهله واتفق ان سكان بعض الولايات التي كانت خاضعة لانكلترا في اميركا الشمالية استاؤوا من ضريبة ضربتها عليهم الحكومة الانكليزية فثاروا عليها واستقلوا عنها ووضعوا الاساس الذي شيدت عليه جمهورية الولايات المتحدة كما نعرفها الآن

واشتد ضغط الامم المجاورة لممالك الالمانية وامارتها المختلفة عليها حتى كاد يمحقها ويقضي عليها فاتحدت كلها للذود عن كيانها فقهرت عدوتها الكبرى فرنسا ثم عكفت على اصلاح شؤونها وتعزيز قوتها فصارت في طليعة البلدان عزة ومنعة

وقد نتج عن اتحاد البلدان التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكره مثل ايطاليا ان عدد الممالك او الامارات او الولايات التي كان في طاقتها ان تشهر الحرب وتخوض غمارها نقص الآن كثيراً عما كان عليه منذ قرن ونصف والا فلو ظلت الولايات الواقعة في البلاد التي تسميها الولايات المتحدة من غير ان تتحد كلها معاً تحت راية واحدة وسلطة عليا واحدة لكان منها الآن ٥١ ولاية كل منها تستطيع محاربة جاراتها . وقد كانت المانيا قبل الاتحاد الالماني تتألف من ست وعشرين مملكة وامارة وولاية ما عدا المدن الحرة وكانت الحرب بينها سجالاً وكذلك ايطاليا فانها كانت تتألف قبل اتحادها من ١٢ مملكة وامارة وجمهورية لا تجمعها الا جامعة العداوة . ولو حسبنا ما نقص في عدد المتحاربين في العالم بفضل اتحاد كل من هذه الامم الثلاث فقط لبلغ اكثر من ٨٦ بلاداً كانت كلها تستطيع شهر الحرب وخوض غمارها

ولم يقتصر هذا النقص على عدد البلدان المتحاربة فقط بل تعداه الى المساحة التي يمكن ان تقع فيها الحرب ايضاً . فقد اتفقت الدول صاحبة الكلمة المسموعة على عد بعض البلدان كسويسره والبلجيك ولكسمبورج وتروج في اوربا ووادي نهر الكونغو وقنال السويس في افريقية ومنطقة البحيرات في اميركا الشمالية محايدة فلا تشهر عليها حرب ولا يقع فيها قتال الا اذا كان داخلياً لاخماد ثورة او قمع فتنة او تسكين اضطراب

بقي التوازن الدولي واقتسام الدول هذه الايام الى محالفات واتفاقات من اجل ذلك .

وليس هذا التوازن في الحقيقة الاَّ حفظ التكافوء بين الدول حتى لا تشتد شوكة احداها او بعضها ويستفحل امرها فتهدد سلامة سائر الدول كما حدث في القرون المتوسطة لما اشتدت المنافسة بين فرنسا واسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة وتعاظمت الى حد اضر بسائر البلدان الصغيرة المجاورة لهن ضرراً بالغاً كان يهدد كيانها

وقد عاد هذا التوازن بفوائد عديدة على العالم كاجتماع كلة دول اوربا على بعض الشؤون العظيمة واهمها كلها المسألة الشرقية واتفاقها على مسائل كثيرة عامة كمسألة سواحل غرب افريقية في مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ ومسألة تحرير العبيد في مؤتمر بروكسل سنة ١٨٨٩ — ١٨٩٠ ومسألة المغرب الاقصى في مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ التي كادت تجر على اوربا حرباً ضروساً

والفضل في ايجاد هذا التوازن عائد بالاكثر الى نبوليون الاول فانهُ قضى على ما كان باقياً في ايامهِ من النظام الاقطاعي ورسم خريطة اوربا السياسية كما هي الآن وفتح عيون الدول الى وجوب التعاضد والتآزر منعاً لتفوّق احداها على الاخرى كما تفوقت فرنسا في عهدهِ على سائر الدول وكانت توقع فيها الذعر والرعب وتهدد كيانها

وقد خدم هذا التوازن العالم في حربي البلقان الاولى والثانية خدمة جليلة فجنّاهُ من شر مستطير كان منهُ قاب قوسين او ادنى

وكانت الدول الخمس العظمى في اوربا مستأثرة بالمؤتمرات الدولية في اول الامر ثم اشركت فيها الدولة العلية سنة ١٨٥٦ فالولايات المتحدة سنة ١٨٧٨ فاليابان في الايام الاخيرة وصارت تدعو من حين الى آخر بعض الممالك الصغيرة الى ارسال مندوبين من قبلها لحضور بعض المؤتمرات التي تعقدها

فيرى من كل ما تقدم ان منزلة المؤتمرات من الدول منزلة الجمعيات الوطنية الكبرى التي تجمعها كل دولة حين حدوث امر خطير فيها (مثل الجمعية التي دعتها وزارة كامل باشا في الاستانة منذ اشهر لاستشارتها في مسألة تسليم ادرنه الى البلغاريين) وان منزلة الاتفاق الدولي من مجموع الدول منزلة مجلس نواب كل دولة من مجموع امتها

هذا هو اساس البرلمان او الندوة الدولية التي نشدها دعاة الاصلاح من عهد هنري الرابع ملك فرنسا الى يومنا هذا

وفي ٢٤ اغسطس سنة ١٨٩٨ اصدر نقولا الثاني قيصر الروس الحالي منشورهُ المشهور الذي دعا فيهِ دول الارض الى عقد مؤتمر يبحث في الوسائل التي توطد اركان السلم العام

وتنقذ العالم من ويلات الحروب وشرورها . وفي العام التالي عقد مؤتمر السلام الاول في مدينة لهاي عاصمة هولندا فحضره نواب من اسبانيا واسوج والمانيا وايطاليا والبرتوغال وبريطانيا العظمى وبلجيكا وتركيا والدنمارك وروسيا ورومانيا وصربيا وسيام وسويسرا والصين وفرنسا ولكسمبرج والنمسا وهولندا والولايات المتحدة واليابان واليونان

وبحث هذا المؤتمر في مسألة نزع السلاح او الوقوف فيه عند حد محدود براً وبحراً . ومسألة ربط الامم المتحاربة بقيود تخفف ويلات الحرب وتقلل آلامها ومضارها . ومسألة انشاء مجلس دولي للفصل في خصومات الدول بالتحكيم . فنجح في وضع بعض القوانين لتخفيف ويلات الحروب ولاسيما في ما يتعلق بالجرحى والاسرى والممرضين وخدمة الدين فعرض على الدول المتحاربة ان تعاملهم احسن معاملة ووضع لذلك قيوداً كثيرة . ونجح ايضاً في انشاء مجلس يقضي بين الدول في الخصومات التي يتفقن على رفعها اليه ليفصل بينهن فيها ولكنه فشل في الاقتراح الاول والاهم وهو نزع السلاح او توقيفه عند الحد الذي كان قد بلغه حينئذٍ فشلاً تاماً

وعقد المؤتمر الثاني في لهاي ايضاً سنة ١٩٠٧ فحضره مندوبو اربع واربعين دولة فابدلوا القوانين التي كانت تراعيها الدول عرفاً وقبلاً كل دولة منها بما يلائم مصلحتها وبحسب ما لها من الحول والطول بقوانين مكتوبة تعين ما لكل دولة من الحقوق وما عليها من الواجبات لسائر الدول

واتفقت فرنسا وانكلترا في الفترة التي تخللت انعقاد ذينك المؤتمرين فابرمتا المعاهدة الاولى على فصل الخصومات التي تنشأ بينهما في المستقبل وحسمها كلها بالتحكيم الا ما كان منها متعلقاً بالشرف الوطني او المصالح الحيوية

واخذت الدول من ذلك الوقت تجذو حذو فرنسا وانكلترا في عقد المعاهدات بعضهن مع بعض لفصل خصوماتهن بالتحكيم مستثنيات من ذلك ما استثنته فرنسا وانكلترا قبلهن ولكنهن جعلن استئناف خصوماتهن الى محكمة لهاي الدولية لتفصل فيها امراً محتماً عليهن وفرضاً واجباً

ثم عقد المؤتمر البحري الدولي في لندن سنة ١٩٠٨ — ١٩٠٩ فسن قانوناً بحرياً يسري على جميع الدول في اثناء الحرب ليعمل به في محكمة الغنائم الدولية وكان مندوبو بعض الدول قد اقترحوا من مثل هذا القانون في مؤتمر السلام الثاني

وهكذا بينما المدافع تسبك والبوارج تبنى والجيوش تزداد عدداً وعدة والصحف ترسم

خطط الحروب وتعبئة الجيوش والناس يتشاءمون من المستقبل ويتكهنون بوقوع الويلات فيه — بينما هذا يجري امام عيوننا من جهة نرى الدول من جهة اخرى تعمل مثابرة على وضع القوانين الدولية وانشاء محكمة دولية تفصل في خصوماتهن بمقتضى تلك القوانين لتقل اسباب الحروب وينتفي الخوف من وقوعها

وكان الاميركيون في طليعة القائلين بان السلم هو الحالة الطبيعية للمجتمع الانساني لا الحرب وانهُ اذا انتفت اسباب الحرب فلا يبقى لها موجِب . اما اسباب الحرب والاغراض التي تشهر لاجلها فعديدة اهمها اذا استثنينا منها الدفاع الذاتي الخمسة التالية

اولاً حب التوسع الذي يسببهُ ازدحام السكان وضيق البلاد عن تموينهم فاذا عجزت دولة هذه حالتها عن الحصول على الاملاك اللازمة لمعاش رعاياها بالمفاوضة لم يبقَ لها الاَّ الحرب فتعمد اليها

ثانياً المطامح الوطنية او الرغبة في محو عار كسرة كبيرة

ثالثاً ما يحاولهُ الملوك والرؤساء الطامعون من تحويل الرأي العام عن مجراهُ العادي الى مجرى آخر يكون موطداً لعروشهم ومثبتاً لكراسيهم

رابعاً الحسد الذي ينشأ بين الامم من السبق التجاري والتفوق المادي

خامساً سعي اصحاب الاموال ومصانع البوارج والسلاح في تثمير اموالهم في القروض وحمل الدول على ابتياع مصنوعاتهم

وقد انقضى زمن طويل على جمهوريات اميركا الجنوبية والوسطى وهي في حرب سجال استنفدت قواها وضعضعت احوالها واساءت سمعتها في عيون دول اوربا فاجمعت عن مدها بالاموال اللازمة لترقيها ونجاحها . واشفقت حكومة الولايات المتحدة ان تتمادى تلك الجمهوريات في طيشها وغرورها فتسوء العاقبة طيهن ويتقهقرن مئات الاعوام فاوعزت الى سفرائها ومعتمديها ان يدعوهن الى مؤتمر يعقد في وشنطن للبحث في الوسائل التي تمنع وقوع الحرب بين الامم الاميركية . وعقد هذا المؤتمر سنة ١٨٨٢ فوضع مشروعاً يقضي على تلك الجمهوريات بفصل الخصومات التي تقع بينهن مهما كان منشأها بالتحكيم الاَّ في المسائل التي يرى احد الفريقين المتخاصمين انها مهددة لاستقلاله ومع ذلك فقد اوجب على الفريق الثاني الاذعان للتحكيم ولو لم يكن الفريق الاول مضطرًّا الى الاذعان لهُ

وعقدت تلك الجمهوريات مؤتمراً ثانياً في مكسيكو سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ يبحث في الامور التي بحث فيها المؤتمر الاول فقر قرارهُ على تعديل المشروع الاول بحيث توافق عليهِ

جميع حكومات الامم الاميركية واعداد مشروع لتقييد تلك الحكومات بمعاهدة عامة

وعقد مؤتمر ثالث في وشنطن ايضاً سنة ١٩٠٦ حضرهُ مندوبو جميع حكومات الامم الاميركية ما عدا حكومتي هايتي وفنزويلا فبحث في ماهية القوة التي تستخدم لتحصيل الاموال من الحكومات الاميركية التي تعصى بدفع ما عليها وطرق استخدامها والحد الذي يمكن ابلاغها اليهِ وفي ارجاء البت في مبدإ التحكيم الذي يحث فيهِ المؤتمران السابقان الى ما بعد مؤتمر الهاي الثاني الذي كان موعد انعقادهِ في العام التالي

وقد زال بسبب هذه المؤتمرات الثلاثة كثير من اسباب الخلاف الذي استحكل امرهُ بين حكومات تلك الجمهوريات وحسمت انكلترا خلافها مع فنزويلا بسبب غيانا الانكليزية وفرنسا مع البرازيل بسبب غيانا الفرنسوية وسوي الخلاف القديم الذي كان بين انكلترا وفرنسا على نيوفوندلند والخلاف الذي كان بين الولايات المتحدة وانكلترا بسبب كندا وتطالبت جمهوريتا شيلي والارجنتين على فصل خصوماتهما كلها بالتحكيم . وخلاصة القول ان تلك المؤتمرات عادت باعظم الفوائد على اقرار السلم في القارتين الاميركيتين وكان ذلك من اعظم الاسباب التي اهابت بقيصر الروس الى اصدار منشورهِ المشار اليهِ آنفاً

ستأتي البقية

الادب الطبيعي

الطبيعة مدرسة جامعة تستخرج منها كنوز المعارف وتنبعث منها اشعة التعاليم الصحيحة وتخضع لاحكامها جميع الكائنات بحيث ان ما يجري في الكون من الاعمال المادية والحيوية والعقلية والادبية يسير طبقاً لنواميسها وما خالفها يتقهقر او يقف في سير نموهِ ويضعف ويموت . وهي تميل بنظامها الى اصلاح المخلوقات وتحسينها وبها تحولت خشونة الجدود الابعدين الى اللطف والكياسة ووصل الانسان الى الحالة الاجتماعية الحاضرة . على ان هذا الرقي العظيم لم يبلغ درجة الكمال وليس هو الحد الذي يقف عندهُ الناموس الطبيعي الذي لا ينفك عن العمل ويقضي باطراد التحسين . فاذا تأدب الانسان بالادب الطبيعي وعوما يعرف بالادب المشترك او العام فلانهُ يوافق التعاليم الصحيحة التي يتعلمها من مراقبة الحياة القانونية والانحرافات المرضية لان القانون الصحي المادي والقانون الصحي الادبي لا ينفصلان ولا يختلفان جوهرياً . واذا كنا قد بعدنا كثيراً عن الجدود الاولين وكنا لا نشاهد الآن

خشونتهم فانا لا نزال نرى من المعاصرين مَن يرجع الى الوراء فيمائل اوائك الجدود او يعود الى الهيئة الحيوانية بافساد الاقسام الممتازة من جهازه العصبي بالمشروبات الروحية او باي سم آخر يفسد البنية

فالادب الطبيعي اذاً هو ما وافق الطبيعة وجرى مجراها في احكامها ونواميسها حتى لقد جرى على الالسنة ان كل ادب يوافق الطبيعة يقال عنهُ طبيعي ويكون مستحسناً وكل ادب يخالفها يقال عنهُ غير طبيعي ويكون مستقبحاً. ولهذا لا يستغرب تسمية موضوع البحث في هذه المقالة بالادب الطبيعي وهو موضوع لم يطرق بعدُ سيف مجلاتنا العلية على ما اعلم وسترى مما يأتي من البيان والشواهد ما يؤيدهُ ويعززهُ

تظهر الفائدة الجوهرية للحياة من النظر الى امور بسيطة ومعروفة لدى العموم ولكنها تزيد جلاء اذا نظرنا في نظامها الطبيعي

كل انسان رأى مولوداً حين ولادته وعرف سير حياته في طفوليته الاولى ولكن قلَّ من ينتبه الى فلسفة حياته الاجتماعية ليعلم ان في تلك الحياة البسيطة ناموساً اجتماعياً عظيم الاهمية وكبير الفائدة. فالطفل في طوره الاول انسان صغير لا عمل لهُ سوى الغذاء والنوم فهو يشبه الانسان صورةً والحيوانات الوحشية عملاً ولا يستطيع ان يقوم بادنى خدمة مفيدة للمخلوقات الاخر بل يطلب العناية من كل ما يحيط بهِ ولو حرم منها لمات حتماً. فمن الطبيعي اذاً ان المولود حديثاً يكون انانياً اي محباً لذاته الاَّ ان هذه الانانية تقل تدريجاً كما تقدم الولد في العمر تبعاً لسنَّة الطبيعة التي تتقدم فيها الكائنات في سير تكوينها وهذا ما يسميهِ العلم الحديث بالتحول

فاذا بلغ الطفل السنتين اصبح اقل انانية لانهُ يبتدئ يضحي قسماً منها لخدمة ذويهِ بدليل انهُ اذا وقع شيء من يد والدته وطلبت منهُ ان يتناولهُ و يعيدهُ اليها فعل ذلك بطيب خاطر واذ تمنع ويحتهُ . فهذا التغيير الذي حدث بتقدم العمر حدث طبقاً للطبيعة لان الانانية الضيقة في اوائل العمر تأخذ بالزوال شيئاً فشيئاً لتجاريه الميل الراقي المطابق للطبيعة ايضاً الذي نشأ منهُ ما يسمونهُ بالتعاون والاسعاف والروح الاجتماعية ومحبة القريب

وهذا التقدم قانون سار على الكائنات بدون استثناء ونراهُ في المخلوقات التي تكونت قبل البشر لان المحار التي تعيش مختبئة ومنفردة في الاصداف تُعدّ انانية في حياتها وهي من الكائنات السافلة في السلَّم الحيواني والافريج ينعتون بها كل ثقيل وقليل المعروف . واما القرود

وهي من الحيوانات العالية فاقل انانية لان فيها ميلاً الى التعاون فتفلي بعضها وتقتلع الاشواك التي تعلق بجلود بعضها حيث لا يقدر الواحد منها ان يصل اليها ليقتلعها

ثم ان هذا النمو التدريجي في الطفل يتنوع بالتدريج ايضاً نوع كيانهِ ونوع سلوكهِ بين الناس فيخضع بذلك للحكم العام الذي يوجب على كل انسان ان يضحي شيئاً من انانيتهِ الاصلية ليصبح لين معاشرةً واوفر احساناً واكثر حباً للقريب

ويمكن للولد ان يميز منذ حداثتهِ ان صاحب الانانية يكون احط منزلة من الانسان الحسن المعاشرة والسريع الى المعروف . وكثيراً ما يحدث ان يلتقي بولد آخر على الرصيف لا يخلي لهُ السبيل فيقول عنهُ انهُ قليل الادب وسيئ التربية لانهُ لم يسهل لهُ المرور على الرصيف الضيق

اللطف صفة من صفات محبة القريب ويقوم بان يكلف الانسان نفسهُ بعض الكلفة ليوفر ثقلة عن جارهِ . وهو كبير الفائدة للافراد والعموم لانهُ يقرب الناس بعضهم من بعض ويكون سبيلاً للسعادة وتوطيد اركان الحياة الاجتماعية . فاذا كان الانسان لا يستطيع ان يعيش الاَّ مجتمعاً وجب ان يكون اللطف صفة لازمة فيهِ لتقوم سعادتهُ في حياتهِ الاجتماعية . وقد عرف بعد الاختبار قروناً عديدة ان عيشة الاجتماع اسعد كثيراً من عيشة الانفراد بل عيشة الانفراد تعاسة كبرى حتى على ذوي الانانية ولو عوقبوا بها لا دركوا قيمة التعاون في الحياة المشتركة . وقد اصبح هذا الميل راسخاً في الانسان واصبحت الانانية صفة مكروهة في عرف الادب الاجتماعي لاننا اذا رأينا ولداً يسير في طريق مزدحم ولا يراعي بقية السائرين فيهِ صفحنا عن انانيتهِ واخليناله السبيل الاَّ اننا لنكره ذلك على الكهل اذ الصغير يعمل ببساطة وعدم معرفة والكبير يعمل بكبرياء وانانية لان الطبيعة علمتنا ان نصبر بتقدم العمر اكثر مراعاة لنظرائنا وعرفتنا بمحاسن الحياة الاجتماعية وحسناتها

على ان اللطف ليس الاَّ ظاهرة سطحية من ظواهر التقدم الاجتماعي الذي نظرنا فيهِ الى الامور الواضحة والكثيرة الوقوع في آداب المخالفة الاَّ انهُ كبير الشأن في الطفولية الاولى حيث ينظر فيهِ ليس الى الاشياء السطحية بل الى الاحوال الطبيعية التي تجري مجراها طبقاً لنواميس محدودة لا يدخل العقل والارادة في سيرها وتطبيقها . فمنذ الشهر الثاني او الثالث من الطفولية تزيد الام اعتناء بابنها وتهتم بهِ اهتماماً اكبر من اهتمامها بهِ في ايامهِ الاولى . وكأن الولد يشعر بهذه العناية واعترافاً بها يقدم لوالدتهِ الابتسامة الاولى التي تهتز لها عواطفها

ويرقص تليها طرباً . ثم يأخذ يجامع ليها ويزيدها عطفاً عليهِ بحركات عينيهِ وشفتيهِ ويديهِ وصراخهِ التي تدل على ميلهِ الى العيشة المشتركة اي الى عيشة اقل ضيقاً وانانية من ايامهِ الاولى . فهذه هي مظاهر اللطف والكياسة التي حلَّت محل الخشونة التي كان عليها الطبع الاول للولد ويأخذ هذا الطبع الجديد بالنمو يوماً فيوماً تبعاً للناموس الطبيعي الذي تسير عليهِ المخلوقات باجمالها

اذا عرفنا هذا التقدم الذي يحصل في سلوك الاطفال عرفنا ان مسألة الرقي الاجتماعي هي اهم المسائل التي يجب ان يوجه النظر اليها في المدارس . وان يروّض عقل الاحداث بموضوعها المهم وتفاصيلها التي تخلب الالباب لانهُ لا شيء يعجب من التحول التدريجي لنوع الحيوان الصغير الذي هو الطفل المولود الى كائن اكثر انتباهاً لاقاربهِ واخوانهِ وجيرانهِ ومواطنيهِ وللعائلة الكبيرة البشرية التي يشاطرها مستقبلاً غير منفصل . ولا نبالغ اذا قلنا انهُ ليس في طبقات الحيوان العليا عيشة منفردة ومستقلة . والانسان لا يستطيع ان يعيش وحدهُ ثلاثة ايام بعد ولادتهِ لانهُ يحتاج الى ام مرضع لكي ينتقل من الطفولية الاولى الى الثانية . ومهما كانت خيرات الارض كثيرة فانهُ يتعذر علينا ان نستفيد منها ان لم نقتبس ممن سبقونا معرفة استعمال العناصر الكثيرة التي تساعدنا على ان نعيش افضل من الحيوانات وبهذا نعرف قيمة التعاون الاجتماعي الذي نكتسبهُ غالباً بدون فكر وروية اي بدون ان نسأل لماذا تكون الانانية مكروهة . واذا كان الانسان لا يكره الانانية في شخصهِ فلأن لهُ منها فائدة خصوصية ولان في الايام الاولى من حياتهِ لا يستطيع ان يهتم الاَّ بشخصهِ الاَّ ان نظام الرقي الطبيعي يوجب عليهِ الاهتمام باشالهِ ليستفيد من النجاح العجيب الذي حصل في الحياة العالمية

قلنا آنفاً ان الحب الذي ينمو في قلب الطفل ويشعر بهِ نحو والديهِ يظهر بالابتسام وهو كل ما يمكن ان يقدمهُ لهما بدلاً مما يأخذهُ منهما كل يوم . ومتى تقدم في العمر زاد معرفة وزاد عطاءه فيخضع لها وخضوعهُ ضحية من انانيتهِ تسهل عليهما العمل بتربيتهِ

الاخذ والعطاء هما ميزان الحياة الاجتماعية ونحوها يسير طبقاً للسنَّة الطبيعية . ومن كثر عطاؤهُ زادت سعادتهُ لان الطبيعة جوَّادة على الانسان والحياة المتمدنة ليست الاَّ جمعية تعاون وتضامن . ومن امسك عن العطاء او قلَّ عطاؤهُ عاش شقياً لانهُ يخرج من القوم الذين يجزلون عطاءهُ اذ يأخذ كثيراً من ابيهِ وامهِ واخوتهِ ورفاقهِ واساتذتهِ ومن الادباء والعلماء والمكتشفين الذين يكفونهُ مؤونة التفتيش الطويل والتعب الجزيل

لان الاكتشافات والاختراعات الاولى كتحضير الطعام واللباس والاثاث اعترضتها صعوبات كثيرة قبل ان اصبح الحصول عليها سهلاً والانتفاع بها حرًّا وقد اكتسبت بعد مرور الزمن بالمبادلة والتعاون صفة ادبية مع انها لم يكن لها في بادئ امرها سوى فائدة مادية لان الادب هو كل ما يساعد على اتحاد الناس واتفاق الامم وعدمهُ هو كل ما يقرض هذا الاتحاد الحسن المفيد

فنرى اذاً ان اللطف وحب القريب والروح العائلية والروح الاجتماعية بالرغم من مظاهرها المختلفة لها علاقة بالحادث الطبيعي القابل الرقي اي الميل الى التعاون والتفاهم الذي يرفع الاطفال الى اعلى من اناينيتهم الاولية فيجعلهم رفاقاً حسني السلوك واناساً متحلين بالاخلاق الفاضلة التي تكون وسيلة لسعادتهم في الحياة الاجتماعية والعائلية التي يسيرون اليها ويندفعون في تيارها . ومثلها الصفات الادبية الاخرى التي ظهرت في ادوار العصور السالفة كالشفقة والرحمة والحنو والحب والمجاملة والاسعاف والتضامن والوطنية والانسانية فهي تدل على قليل من كثير من الميل غير المحدود الذي يجري على نظام طبيعي في العالم الانساني

ورغم ما في تلك الصفات من الجمال وحسن المظاهر فهي ليست الحد الذي يقف عندهُ الرقي الادبي والناس لا يزالون بعيدين عن حدّ التعاون والتفاهم في كل اعمالهم وان كانوا يتفاهمون هذه الايام احسن كثيراً مما كانوا يتفاهمون في الزمن الماضي اذ يمكن للانسان الآن ان يخوض البحار آمناً من سطوة القرصان وان يجوب اكثر القارات مطمئناً من غدر السكان لزوال روح التفريق وبغض الاغراب الوحشي

فالرقي الطبيعي والادبي لا ينفكان عن المساعدة على تحسين ادب الجنس البشري بتسهيلها المبادلة بين الامم واكتساب كل منها معارف الاخرى والاستفادة من اختباراتها واكتشافاتها فمعرفة الكهربائية مثلاً ساعدت مساعدة كبرى على رقي الحالة الاجتماعية بين البشر وكانت عاملاً لاكتشاف عديم النفع وجزيل الفائدة واعني به التلغراف الذي امتدت اسلاكهُ فاحاطت العمور واخذ بنيُّ الملايين من الناس بما يحصل في الاماكن القاصية فاخذ بذلك ينقص بغض الاجانب واحتقارهم

لا يحدث حادث مهم في احد نصفي الكرة حتى كان او قبيحاً الاَّ والتلغراف ينقلهُ حالاً الى كل الامم والشعوب . لما نكبت مسينا بالزلزال طيَّر التلغراف خبر النكبة الى كل جهات العالم فاسرع الناس القريبون والبعيدون الى اسعاف المصابين وتخفيف ويلات الفاجعة . وظهر في حرب البلقان ما يدل على اهمية هذا الميل وانتشاره بين الامم الراقية حيث تألفت

الوفود لاسعاف المصابين بالعلاج والغذاء بدون تمييز بين الجنسية والدين

ترتبط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض ارتباطاً لا يقبل الفصل والتفكيك وتسير معاً على منهاج واحد من النجاح فاذا حسنت معرفة الناس بهذه الرابطة عدلوا عن الحد الاعمى الذي يفرقهم بعضهم عن بعض. وقد كانت معرفة الاسلاف القاصرة سبباً لاعتبار الطبيعة عدواً لدوداً وكانت مظاهر قواتها في عرفهم مظاهر خشونة وعداء كالكهربائية التي لم يكونوا يعرفون من صفاتها وافعالها الا الصاعقة وهي في هذه الايام من اكبر نعم الطبيعة على الانسان لانها لا تقتصر على نقل الاخبار والافكار الى الاماكن البعيدة بل اصبحت العامل المطيع لكل الاعمال الميكانيكية ولنقل القوة والنور الى الاودية والجبال ويؤمل منها ايجاد مراكز للقوة ترتبط بها الارض لكمالها

لا يستغرب اذا قلنا ان عمل الانسان في العمران يسير على نفس خطة الخالق الذي صدرت منهُ كل انواع الحركات التي نشاهدها في الطبيعة والتي اذا تبحرنا فيها عجبنا من الارتباط العام الذي ترتبط بهِ. واذا كان تاريخ العمران قد وصل الى قاعدة ادبية يسير عليها في سيرهِ ونموهِ فلأنهُ يرتبط ارتباطاً طبيعياً بتاريخ الخلق العام. واذا نظرنا الى مصير الانسان والطبيعة رأيناهُ واحداً ومشتركاً فيها لان في كليهما ميلاً الى التعويض عن التراكيب القديمة بتحدثات تظهر لنا اقل نقصاً من سابقتها وان لم تبلغ الكمال المطلق المحدود بعمل الخالق

على اننا اذا كنا نحققنا الرقي الذي حصل في المعادن والنباتات والحيوانات ومن ثم في الانسان الاجتماعي الذي هو الصورة الاقل نقصاً من الحيوانات المعروفة فاننا نجهل درجات ذلك الرقي الاولى والبعيدة الا اننا لا نجهل ان بين الصورة الحالية والصورة الاولى الاصلية بوناً شاسعاً واذا امكننا ان نقدر ما يمكن الوصول اليهِ من الاستمرار على التغيير الذي يدنينا من الكمال فتقديرنا القائم على احسن برهان لا يُعدُّ شيئاً بالنسبة الى التحسين البديع الذي يؤمل الحصول عليهِ في المستقبل وان لم يمكن تعيين شكلهِ وتحديد صفاتهِ لتوقع حصولهِ في المستقبل البعيد

مثال ذلك اننا نؤمل طبيعياً ان يأتي يوم يتفاهم فيهِ الناس احسن من الوقت الحاضر لان التاريخ يدلنا على ان القبائل والشعائر والشعوب القديمة كانت متفرقة ومتباعدة بعضها عن بعض اكثر منها الآن ونؤمل ايضاً انهُ يأتي زمن يستطيع فيهِ سكان الكواكب والارض ان يخاطبوا بعضهم بعضاً. واذا حصلت هذه العلاقة الجديدة الاجتماعية استطاع خلفاؤنا

ان يتوسعوا في المعارف الطبيعية وان يتبسطوا في الحياة الادبية . على ان هذا الامل وان يكن من الغرابة بمكان الا ان الحصول عليه ليس مستحيلاً قياساً على عمل الرقي في كافة الكائنات

فالناموس الطبيعي الذي يربط كيانا بالتكوين العام يسير على قاعدة واحدة تميل بالكائنات الى التحسين الذي ظهرت نتائجهُ العجيبة في الحياة العالية وعلينا الآن ان نقتنع بفوائدها وان لا يؤخرنا عن التمتع بها جهلنا ببداءة الحياة ونهايتها لان ذلك من رغائب الرجال الذين يقتحمون هذا الموضوع بكل جسارة لان القليل الذي نعرفهُ كثير الحسنات وجزيل الفوائد ويجدر بنا بل يجب علينا ان نثق بحكمة الطبيعة في مستحدثاتها وان لا نتكر ناموساً ثابتاً لمحاول اثبات ناموس غامض وقليل الوضوح

على الانسان الذي ينتفع من النجاح العام والمتواصل ان يضحي قسماً من انانيته لفائدة العموم عملاً بالناموس الطبيعي ان لا يحق لهُ ان ينتفع بمجهودات المجتمع بالاعمال والاصلاحات والاختراعات بدون ان يشاركهُ في العمل او ان يعطي شيئاً من مواهبهِ وحياتهِ او ان يكون شحيحاً بحالهِ وماله وعالة على جماعتهِ ومواطنيهِ . ولا ريب في ان انساناً كهذا يكون تعيساً في حياتهِ وحقيراً في صفاتهِ لان هيئتهُ تخالف المألوف عند ذوي اللطف والمدنية اذ يتخذ في سلوكهِ شكلاً يخالف شكلهم فيكون خشناً وعبوساً ولذلك يكون مكروهاً ومرذولاً بخلاف ذي الظرف واللياقة فانهُ يكون انيساً وبشيشاً ولذلك يكون محبوباً وسعيداً لانهُ يسير على سنة الطبيعة التي حولت الجلود من الخشونة الى اللطف

ان رقي الفرد يدل بالاختصار على رقي النسل اي ان الشخصية تميل طبيعيًّا الى التنوع فتسير على نفس الخطة التي تسير عليها سلسلة المخلوقات ولذلك فالمحافظ المكابر الذي لا يريد ان يغير شيئاً من عاداتهِ القديمة يُدعى في علم الادب الحديث رجعيًّا لان الانسان الذي لا يشترك في الاصلاح الطبيعي لكل الكائنات يبقى متأخراً في نظر مواطنيهِ التشيطين

مهما اجهدنا القريحة في وصف محاسن هذه السنة التي تقوم بها عناصر الطبيعة نبقى مقصرين عن توفية الوصف حقهُ . واذا نظرنا اليها في مجاري الحياة اليومية عرفنا اهميتها وتأثيرها في معايشنا وآدابنا لان لا حركة تعمل من حركات الحياة الا وللميل الى التحسين دخل فيها فاذا اكلنا فلنكتسب اجسامنا قوة واذا نمنا فلنغتنم راحة بعد التعب واذا تروضنا فلنكتسب اعضاءنا نموًّا يمكنها من القيام باعمال اعظم واكبر واذا تعلمنا وتهذبنا فلنكتسب معرفة بالسعادة وعملاً بالواجبات المفروض علينا القيام بها بين الناس

البرنس فورستنبرج

هو امير المانيغسوي من اصحاب الملايين الكثيرة ويقال انهُ قوة وراء العرش الالماني وليس لاحد من النفوذ في المانيا ما لهُ وقلَّ من يماثلهُ في وثوق الامبراطور بهِ وهو الوحيد من رعايا الامبراطور الذي يعاملهُ الامبراطور كأنهُ من امثالهِ ورأيهُ مفضل على رأي الوزراء والوكلاء . وكثيراً ماحاول الامبراطور ان يجعلهُ وزيراً لهُ فابى مفضلاً اواصر الصداقة على مشاغل الوزارة

يدير مع امير آخر شركة رأس مالها مئة مليون جنيه وقد لُقبت رفاقة (ترست) الامراء فهو من اغنى اصحاب المعامل في الدنيا وقد اجتمعت فيهِ مفاخر القرون الوسطى وساعي هذا العصر كأنهُ يتمثل بقول ابي فراس حيث قال

« أيشغلكم وصف القديم ودونهُ مفاخر فيها شاغل ومآثرُ
لنا اول في المكرمات وآخرٌ وباطن مجد تنطوي وظاهرُ »

وقد رآهُ الامبراطور حسب قلبهِ لانهُ فارس وشاعر ومصور ومن ارباب الغناء والصيد والعاديات وزد على ذلك ان لهُ الرأي المعلّى والثقة الكبرى في نفس الامبراطور فلا يمضي امراً كبيراً الاَّ بعد ما يستشيرهُ فيهِ ويتداول معهُ . وشعارهُ الذي لا يحيد عنهُ الصدق والاخلاص فيصدق الامبراطور ولا يكتمهُ النصيحة ولو بالتنديد

ولد هذا الامير سنة ١٨٦٣ من بيت قديم لهُ في المكرمات اصول راسخة يمتد نسبهُ الى القرن الثاني عشر اذ كان جدهُ الاعلى من خواص الامبراطور شارلمان . وتخرج في جامعة بون التي تخرج فيها الامبراطور . وقضى ايام شبابهِ في فينّا وبراغ وفي اباعد اسرتهِ . وقد ورث حق القيام في مجالس الاعيان في النمسا وبروسيا وورتمبرج وبادن فاشتغل بالسياسة قبلما ناهز الثلاثين وانتقلت الرئاسة اليهِ بموت ابن عمهِ فصار رئيس بيت فورستنبرج ومالك املاكهِ الواسعة . واصبح من اغنى اغنياء اوربا وجعل يستقبل الضيوف في قصوره العديدة و بينهم الملوك والامبراطرة وهو فوق ذلك راوية فكه الحديث جدًّا فيُسرّ الامبراطور بمجالستهِ

البارن فن در غلتز باشا

تنفق المانيا الآن خمسين الف جنيه على تقوية جيشها استعداداً لذلك اليوم العصيب يوم يتنازع السلاف والالمان السيادة في اوربا . واذا وقع ذلك اليوم في القريب العاجل والتقت الجحافل الالمانية بالجحافل الروسية فتكون القيادة العامة حينئذٍ في المانيا للرشال البارون فن در غلتز باشا الذي يعدونهُ اعظم قوادهم الاحياء ولا يخفى انهُ هو منظم الجيش العثماني وكان المفتش العام فيهِ

وهو الآن في السبعين من عمره وقد قضى اكثر من خمسين سنة وهو يؤلف وينظم ويحارب ولو اكتفى بما ألفهُ ولم يفعل شيئاً آخر لبقيت لهُ شهرة واسعة

ابتدأ صناعة التأليف بكتابة الروايات فكسب منها ما كفى لاعالة امهِ ثم ألف كتابهُ المعنون « ليون غمبتا وجنودهُ » فطارت شهرتهُ في الاقطار لكنهُ ذهب فيهِ الى وجوب انقاص الخدمة العسكرية الى سنتين فاتُّهم بمسالأة المتطرفين من الاحرار وعوقب بالنقل من مكان الى آخر ولكن كتابهُ مهَّد السبيل للجري على الرأي الذي ايدهُ ولو بعد ست عشرة سنة

ومن اشهر كتبهِ الكتاب المعنون بالامة المسلحة الذي ظهر سنة ١٨٨٣ واوجب فيهِ التجنيد الاجباري . وكتاب حروب فردرك الكبير . وكتاب قيادة الجيوش . وكتاب تاريخ المانيا الحربي في القرن التاسع عشر . وقد قال في الكتاب الاخير ان عظمة المانيا قائمة بجنودها واسلحتها

وسنة ١٨٨٣ دعاهُ السلطان عبد الحميد لتنظيم الجيش العثماني فاقام في خدمة تركيا الى سنة ١٨٩٥

والذين يعرفونهُ يقولون ان ظاهرهُ انس ودعة وفي باطنهِ قلب من الحديد وعزيمة لا تعرف الانقياد لغير الواجب . وديع للاصاغر عزيز على الاكابر يكره الظهور ويزدري المظاهر

الاميرال فون تربتز

اذا كُتب تاريخ البحرية الالمانية وما نالتهُ من ارتفاع الشأن فلامع الفردفون تربتز المحلُّ الاعلى فيهِ فان لهُ القدح المعلَّى والسهم الاوفر في ما حازهُ الاسطول الالماني من قصب السبق بين اساطيل الدول المجربة بل هو ابو هذا الاسطول وامهُ

ويلقب في برلين بتربتز الابدي لانهُ مرَّ عليهِ الآن خمس عشرة سنة ودفة البحرية في يده . لم يقم احد في الوزارة اكثر منهُ الاَّ بسمارك

ولهُ في بلد بعيد عن البحر وابوهُ من المحامين فلم يصل اليهِ حب البحرية لا من والده ولا من مولده . ولما بلغ السادسة عشرة دخل سفينة حربية من السفن الصغيرة المعروفة في ذلك الحين وارتقى رويداً رويداً في الرتب البحرية حتى بلغ رتبة نائب قومندان وعمرهُ ٢٥ سنة . وسنة ١٨٩١ وصل الى ادارة الاسطول المرابط في كيل فاظهر من البراعة والمهارة وحسن الابتكار ما وجَّه اليهِ الانظار والزم اولياء الامر العمل برأيهِ . وظل يرتقي الى ان بلغ وزارة البحرية حيث يقرن القول بالعمل

وهو من المعجبين بالانكليز وبحريتهم وبكل شيء انكليزي وقد علَّم اولادهُ في انكلترا . واليهِ ينسب القانون البحري الذي جرت عليهِ المانيا فانشأ المدرعات الكبيرة لكي تصير قوة

المانيا البحرية مثل ثلثي قوة انكلترا حتى تأمن شر انكلترا وفرنسا اذا اتفقتا عليها . ويحسب ان مدافع المانيا اقوى المدافع كلها فيكون الفوز لها اذا التقت البوارج بالبوارج ولكنهُ يجاهر ان ليس لالمانيا غرض ترمي اليهِ غير الدفاع

غُتْلِيب فن يهجو

كان هذا الرجل سفيراً لالمانيا في رومية فاستدعاهُ الامبراطور في اوائل هذا العام ليتقلدهُ وزارة الخارجية حينما توفي كدرلن فحتم قلبي الدعوة مكرهاً لان هذا المنصب محفوف بالمكاره وقلما يؤثر صاحبهُ او يشكر وقد توفي اثنان من رجالهِ في العقد الاخير بعد ما اصميهما المشاق وهو ايضاً من تلامذة جامعة بون ومن اتراب الامبراطور واصدقائهِ فيخاطبهُ الامبراطور من غير تكلُّف كما يخاطب الرجل صاحبهُ بضمير الخاطب المفرد دلالةً على رفع الكلفة بينهما . وهو صغير القد نحيف الجسم يهتم بالكبائر والصغائر ويرضي مجالسهُ ويسرهُ . والذين يعرفونهُ يقدرون لهُ الفلاح التام في منصبهِ لانهُ مستجمع لكل ما تقتضيهِ مطالب السياسة ولو ظهر على الضد مما كان عليهِ بسمارك لانهُ لين العريكة محب للمسالمة . ولكن من يدري كيف تتغير الرجال فان سلفهُ كدرلن دخل الوزارة أسداً وخرج منها حملاً ولعل بهجو يكون على الضد منهُ

ارثر فن غفنتر

في المانيا تسعة بنوك كبيرة وستة اصغر منها . واعظم بنوك المانيا بالاجماع الدتش بنك (البنك الالماني) فان منهُ تنتشر الاموال الالمانية في الدنيا . وسلطتهُ في المانيا لا تقلُّ عن سلطة الحكومة . وتبلغ الاموال التي يتعامل بها سنوياً ٦٥٠٠ مليون جنيه ولا يستطيع الامبراطور ان يشير حرباً لم يصادق هذا البنك عليها ويؤيدهُ فيها

والبنك كلهُ في يدارثر غفنتر ولو انكر ذلك وكثيراً ما استدعاهُ الامبراطور لدهُ وزارة المالية او نظارة الخزينة فاعتقد رجاسياً انهُ يخدم بلادهُ بادارة بنكها اكثر مما يخدمها في دست الوزارة

انشأ البنك الالماني جورج سمنس وهو الذي نال الامتياز من تركيا بانشاء سكة الاناضول سنة ١٨٨٨ فجعل لالمانيا مصلحة كبيرة في البلاد العثمانية . وخلفهُ غفنتر سنة ١٩٠١ ولم يمر عليهِ سنتان حتى نال الامتياز بسكة بغداد وصار رئيساً لشركة سكة الاناضول ولشركة سكة بغداد ورأس مال الاثنتين الآن ١٦ مليوناً من الجنيهات . وعندهُ ان ما تنفقهُ المانيا على حريتها وبحريتها وهو نحو ثمانين مليوناً من الجنيهات في السنة ليس مما يهبطها لان قيمة تجارتها الخارجة بين داخل وخارج نحو الف مليون من الجنيهات وتلك النفقة لازمة لحفظ هذه التجارة

نشأ هذا الرجل بين رجال المال فانهُ ولد في فرنكفورت سنة ١٨٥٦ لما كانت مركز

المعاملات المالية في اوربا وانتظم في خدمة الحكومة فجعل فنصلاً لها في مدريد واقترن سنة ١٨٨٥ بابنة فيلب سيبر من كبار الماليين وبعد ثلاث سنوات انشأ بنكاً خصوصيًّا في برلين وبقي مديراً لهُ الى ان دعاهُ محفل سنة ١٨٩٤ ليشاركهُ في ادارة البنك الالماني ثم تركت الادارة كلها لهُ فاستقل بها وهو من اعهر مديري البنوك الذين يقدمون على المشروعات الكبيرة

البرت بلين

قيل سأل سائل احد الرجال المختارين للجندية وهو يمتحنهُ في علم التاريخ قائلاً «من هو اعظم الالمانيين» فاجابهُ على الفور « بلين ». وهذا ما يقولهُ الآن ملايين من سكان المانيا عن رئيس شركة وابورات همبرج اميركان

اراد الامبراطور مرةً ان يلتقي مقاليد الوزارة الى بلين او يجعلهُ من اشراف المملكة فقال لهُ بلين تكرَّم عليَّ بصورة جلالتكم الفوتوغرافية وحسبي . فاعطاهُ الصورة وكتب تحتها « الى رائد تجارتنا المقام البعيد النظر »

لما دخل بلين شركة وابورات همبرج اميركان سنة ١٨٨٦ كان رأس مالها ٧٥٠ الف جنيه فصار الآن سبعة ملايين و ٥٠٠ الف جنيه اي زاد عشرة اضعاف. وكان دخلها السنوي ١٢٥ الف جنيه فصار الآن مليونين و ٨٢٥ الف جنيه وكانت سفنها البخارية ٢٦ سفينة فصارت الآن ١٨٠ وكان محمول سفنها ٦٠ الف طن فصار الآن مليون طن ونصف مليون اي انهُ زاد ٢٥ ضعفاً وقد بنت بالامس سفينة محمولها وحدها ٥٠ الف طن

سر نجاح هذا الرجل اهتمامهُ بالصغائر مهما كانت وحفظها في ذاكرتهِ . وقد جرى على ذلك من حين كان كاتباً صغيراً في بلاد الانكليز من غير اجرة الى ان تبوأ اعظم مركز مالي صناعي تجاري . فان حفظهُ لهذه الدقائق سهَّل عليهِ بناء الاحكام الصائبة فلما انتظم بين مديري شركة همبرج اميركان وهو شاب جعل يقترح انشاء السفن على طرز جديد وكبار المديرين يقاومونهُ فيتغلَّب عليهم بالحجة والدليل وتأتي النتائج مؤيدة لرأيهِ حتى اضطروا ان يسلموا الادارة كلها لهُ سنة ١٩٠٠

وهو اسرائيلي صغير القد نحيل محب للعزلة مواظب على العمل متمسك بديانتهِ ولكنهُ غير متعصب فيها لا ولد لهُ تتبنَّى ابنة صغيرة من بنات احد المستخدمين . لا يأتي الامبراطور مدينة همبرج الاَّ زار بيتهُ في ضواحي المدينة وابدى لهُ دلائل اكرامهِ واحترامهِ . ولما رأى كبراء الالمانيين ذلك فتحوا لهُ ابوابهم وصاروا يعدونهُ من خاصتهم ومن اعظم رجالهم

سيأتي البقية

هذا من حيث نسبة الملاك الى الفلاحين بنوع عام. فأتي الآن الى الفلاح الذي يدفع ١٦ جنيهاً ايجار الفدان وظلناهُ مغبوناً والفلاح الذي يدفع ثلاثة جنيهات وظننتهُ مرحوماً فاقول لا يخفى ان الاطيان الزراعية مساحتها نحو ٦ ملايين فدان كما تقدم وبيوت الفلاحين نحو مليوني بيت فنصيب كل بيت منها ثلاثة افدنة اي ان الرجل وامرأتهُ واولادهُ يستطيعون ان يستأجروا ثلاثة افدنة ويقوموا بزراعتها. والثلاثة الافدنة الاولى التي ايجار الفدان منها ١٦ جنيهاً يبلغ محصولها في السنة ستة تناطير من القطن من فدان واحد منها واثني عشر اردباً من القمح وعشرة احمال من التبن من الفدانين الباقيين وعشرين اردباً من الذرة منهما. وثمن هذه المحصولات كلها نحو ٦٦ جنيهاً يخرج منها ايجار الثلاثة الافدنة وهو ٤٨ جنيهاً فيبقى للفلاح ١٨ جنيهاً في السنة وما يكفيهِ من حطب القطن والذرة لوقودهِ والحبوب لفراخهِ والبرسيم والتبن لماشيتهِ

والثلاثة الافدنة الثانية التي ايجار الفدان منها ثلاثة جنيهات فقط يبلغ محصولها في السنة قنطارين من القطن من فدان واحد وخمسة اراديب من الارز من فدان آخر واربعة اراديب من الذرة من الفدان الثاني وثمنها كلها ١٧ جنيهاً يخرج منها ٩ جنيهات الايجار فيبقى للفلاح ثمانية جنيهات لا غير ولكن يبقى لهُ ايضاً ما يكفي من البرسيم لعلف ماشيتهِ والحطب لوقودهِ ويأكل هو واولادهُ جانباً من الذرة. والفلاحان يضطران ان يخدما الارض ويسمداها على حدٍّ سوى ويخدما التقاوي اللازمة لها وخدمة الارز اصعب جداً من خدمة القمح. فترون من ذلك ان الفلاح الذي يدفع الايجار القليل ليس اسعد حالاً من الفلاح الذي يدفع الايجار الكثير بل الامر على الضد من ذلك

الاجنبي — احسنت في هذا البيان ولكن لا شبهة ان الثمانية الجنيهات والتسعة والعشرة لا تكفي لمعيشة رجل وزوجتهِ واولادهِ في السنة ولا بدَّ من تدبير ما لاضافة جانب آخر من ريع الاطيان الى الفلاحين

الوطني — لقد ابنت لك ان قيمة المحاصلات الزراعية كلها في سني الاقبال لا تزيد على ٧٢ مليون جنيه وان الحكومة تأخذ منها ستة ملايين والفلاحين ٤٨ مليوناً ولا يبقى للمالكين الاَّ ١٨ مليوناً او ربع الربع. وعلى الاطيان ديون لا يقل قسطها السنوي عن ٦ ملايين من الجنيهات فلا يبقى لاصحابها حقيقة الاَّ ١٢ مليوناً مقابل رأس مالهم واهتمامهم باطيانهم فاذا نزعنا منهم نصفها وهو ستة ملايين من الجنيهات واعطيناهُ للفلاحين لم يصب البيت من بيوت الفلاحين الاَّ ثلاثة جنيهات في السنة فنفقر المالك ولا نغني الفلاح اذ قد بيَّنت

لك ان دخل الفلاح الواحد يختلف من ٨ جنيهات الى ١٦ جنيهاً. واذا افتقر الملاَّك عجزوا عن ايفاء ديونهم فتباع اكثر اطيانهم لاصحاب البنوك او الاجانب ويتجرَّد الوطنيون منها. والذين يشترونها لا يحسنون ادارتها مثل ملاَّكها الحاليين فتكون النتيجة قلة الريع وزيادة الفقر

الاجنبي — بلغني ان بعض اولياء الامر يفكّر الآن في تحديد ايجار الاطيان حتى لا يزيد عن مقدار معيَّن بالنسبة الى مال الاطيان كخمسة اضعاف المال مثلاً

الوطني — نعم سمعت هذا الخبر وقد ذكرتهُ بعض الجرائد ولكن اولياء الامر كذَّبوهُ رسمياً على ما بلغني. وهو لا يخطر الاَّ على بال من يجهل النظامات الاجتماعية ولا يفكر في العواقب. فقد ابنت لك ان المئة الفدان التي يمتلكها صديقي يبلغ ايجارها اكثر من عشرة اضعاف مالها وان الالف فدان يبلغ ايجارها ستة اضعاف مالها فقط وعندهُ اطيان اخرى يقل ايجارها عن مالها فاذا ارادت الحكومة ان تنقص ايجار الاطيان الاولى وتعطي الفرق للفلاحين الذين يستأجرونها الآن فمن اين تعوّض على صديقي الفرق في ايجار الاطيان الثالثة وكل المالكين او اكثرهم مثلهُ اي عندهم اطيان يزيد ايجارها على خمسة امثال مالها واطيان لا يزيد بل ينقص. ثم ان مال الحكومة ليس الشيء الوحيد الذي يقوم بهِ المالك بل عليهِ اجور النظار والكتَّاب والمعاونين والخولا وتطهير المراوي والمصارف والاهتمام بالري والصرف والتصليح وما اشبه وقد تستغرق هذه النفقات قيمة الايجار كلها او تزيد عليها. والواقع ان ايراد الاطيان للاَّكها لا يزيد على ثلاثة اضعاف مالها لانهُ ١٨ مليوناً من الجنيهات كما تقدم والمال ستة ملايين من الجنيهات. ثم اذا طرحنا من الريع فوائد الديون التي على الاطيان لم يبقَ منهُ الاَّ ١٢ مليوناً اي ضعفا مال الحكومة واذا قسمنا الريع كلهُ ٢٤ قيراطاً فالفلاحون يأخذون منها ١٦ قيراطاً والحكومة قيراطين وبنوك الرهنيات قيراطين والملاك اربعة قراريط ويدفعون منها اجرة النظار والكتاب ونحوهم ولولا ان صغارهم يتولون زرع اطيانهم بيدهم وكبارهم يملكون اطياناً كثيرة لكان امتلاك الاطيان عملاً خاسراً

الاجنبي — اولئك لا ترد ولكنها لا تنفي ان دخل الفلاحين وهم تسعة اعشار السكان لا يكفيهم ليعيشوا بهِ في هذا العصر الذي كثرت فيهِ الحاجيات وغلت اسعارها جداً

الوطني — انا معك في ان دخل الفلاحين لا يكفيهم اذا حاولوا ان يعيشوا عيشة الفلاَّح الانكليزي فيفطروا على الخبز واللبن والشاي والزبدة ويأكلوا اللحم ولو مرَّة كل يوم ويلبسوا الجوخ والكتان ولكن ليس العبرة بدخل الانسان بل بما يبقى معهُ منهُ في آخر النهار وبما يستفيدهُ جسمهُ من طعامهِ ولباسهِ. ففي القطر المصري نحو مليون و٣٠٠ الف بيت يملك

ورأيته لما كان مقيماً بدمشق في آخر مرة اتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت مسطرته ابلغ من لفظه. وكان رحمهُ الله ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه. وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيراً من المتقدمين. وكان وقوعهُ كثيراً جداً في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه

ونقلت من خطه في سيرته التي الفها ما هذا مثالهُ قال :— اني ولدت بدار جدي في درب القالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت في حجر الشيخ ابي النجيب لا اعرف اللعب واللهو واكثر زماني مصروف في سماع الحديث واخذت لي اجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر. وقال لي والدي يوماً قد سمعتك جميع عوالي بغداد والحقتك في الرواية بالشيوخ المسان. وكنت في اثناء ذلك اتعلم الخط واتحفظ القرآن والفصيح[1] والمقامات وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو فلما ترعرعت حملني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري وكان يومئذ شيخ بغداد ولهُ بوالدي صحبة قديمة ايام التفقه بالنظامية[2] فقرأت عليهِ خطبة الفصيح فهذر كلاماً كثيراً متتابعاً لم افهم منهُ شيئاً لكن التلاميذ حولهُ يعجبون منهُ. ثم قال انا اعفو عن تعليم الصبيان احملهُ الى تلميذي الوجيه الواسطي يقرأ عليهِ فاذا توسطت حالهُ قرأ عليّ. وكان الوجيه عند بعض اولاد رئيس الرؤساء وكان رجلاً اعمى من اهل الثروة والمروءة فاخذني بكفهِ يديهِ وجعل يمشي من اول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف فكنت احضر حلقتهُ بمسجد الظفرية ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها وفي آخر الامر اقرأ درسي ويخصني بشرحه ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق فاذا بلغنا منزلهُ اخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسهِ فاحفظ معهُ ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسهُ ويشرح لهُ وانا اسمع. وتخرجت الى ان صرت اسبقهُ في الحفظ والفهم واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار

واقمنا على ذلك برهة كلما جاء حفظي كثر وجاد وفهمي قوي واستنار وذهني اتقد واستقام وانا الازم الشيخ وشيخ الشيخ. واول ما ابتدأت حفظت اللمع[3] في ثمانية اشهر اسمع كل يوم شرح اكثرها مما يقرأهُ غيري وانقلب الى بيتي فاطالع شرح الثلاثين وشرح الشريف عمر بن حمزة وشرح ابن برهان وكل ما اجد من شروحها واشرحها لتلاميذ يختصون بي الى ان صرت

---

(١) كتاب ثعلب في اللغة (٢) مدرسة ببغداد المشهورة بالنظامية نسبة الى نظام الملك الصوفي وزير السلطان الب ارسلان وولي ملك شاه شرع في بنائها سنة ٤٥٧ هجرية

(٣) لعلها اللمع في اصول الفقه للشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ ه

اتكلم على كل باب كراريس ولا ينفد ما عندي . ثم حفظت ادب الكاتب[1] لابن قتيبه حفظاً مثقناً اما النصف الاول ففي شهور واما ثلوثه الثاني ففي اربعة عشر يوماً لانهُ كان اربعة عشر كراساً . ثم حفظت مشكل القرآن لهُ وغريب القرآن لهُ وكل ذلك في مدة يسيرة ثم انتقلت الى الايضاح[2] لابي علي الفارسي فحفظتهُ في شهور كثيرة ولازمت مطالعة شروحهِ وتتبعتهُ التتبع التام حتى تبحرت فيهِ وجمعت ما قال الشراح . واما التكملة[3] فحفظتها في ايام يسيرة كل يوم كراساً وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب[4] للمبرد وكتاب ابن درستويه وفي اثناء ذلك لا اخلي مجالس الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب وقال الشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً اكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاصولين وفي التصوف والزهد واتيت على اكثر تصانيفهِ سماعاً وقراءة وحفظاً وشرع في تصنيفين كبيرين احدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق لهُ اتمامها وحفظت عليهِ طائفة من كتاب سيبويه واكببت على المقتضب فانقنتهُ وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحهِ للسيرافي . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتباً كثيرة منها كتاب الاصول[5] لابن السراج والتسخة في وقف ابن الخشاب برباط المأمونية . وقرأت عليهِ الفروض والعروض للخطيب التبريزي وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري واما ابن الخشاب فسمعت بقراءتهِ معاني الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابري[6] وسمعت منهُ الحديث المسلسل وهو الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء

وقال ايضاً ان من مشايخهِ الذين انتفع بهم كما زعم ولد امين الدولة بن التلميذ[7] وبالغ في وصفهِ وكثّر وهذا فلكثرة تعصبهِ للعراقيين والاّ فولد امين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريباً منها . وقال انهُ ورد الى بغداد رجل مغربي طوال في زي التصوف لهُ ابهة ولسن مقبول

(١) كتاب مشهور لابن قتيبة النحوي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

(٢) كتاب في النحو للشيخ ابي علي الفارسي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ

(٣) لابي علي الفارسي ايضاً اتمها لعضد الدولة

(٤) المقتضب في الخطب للمبرد النحوي ولعلهُ اراد المقتضب في كلام العرب لابن جني الموصلي النحوي

(٥) كتاب مرجوع اليهِ في النحو لابن السراج النحوي المتوفى سنة ٣١٦ هـ

(٦) هي فخر النساء شهدة بنت ابي نصر الابري الكاتبة المدعوة بالاصل البغدادية المولود والوفاة كانت من علماء زمانها وتوفيت سنة ٥٧٤ هـ

(٧) هبة الله بن ساعد الطبيب النصراني كان نسيباً ببغداد وتوفي سنة ٥٦٠ هـ

الصورة عليهِ صحة الدين وهيئة السياحة بتفصل لصورته من رآهُ قبل ان يخبرهُ يعرف بابن تائلي يزعم انهُ من اولاد الشيخة خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن فلما استقر ببغداد اجتمع اليهِ جماعة من الاكابر والاعيان وحضرهُ الرضي القزويني وشيخ الشيوخ ابن سكينة وكنت واحداً ممن حضرهُ فاقرأني مقدمة حساب ومقدمة ابن بابشاذ في النحو وكان لهُ طريق في التعليم عجيب ومن يحضرهُ يظن انهُ متجر وانما كان متطرفاً لكنهُ قد امعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها واتى على كتب جابر[1] باسرها وعلى كتب ابن وحشية[2] وكان يخلب القلوب بصورته ومنطقهِ وايهامهِ فملأ قلبي شوقاً الى العلوم كلها واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبهُ ثم سافر. واقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات واكببت على كتب الغزالي المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر. ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت فيهِ وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر ابن حيان الصوفي وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة واقوى من اضلني ابن سينا بكتابهِ في الصنعة الذي تم بهِ فلسفتهُ التي لا تزداد بالتمام الاَّ نقصاً

ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبقَ ببغداد من يأخذ بقلبي ويملأ عيني وبخل ما يشكل عليَّ دخلت الموصل فلم اجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جبلاً في الرياضيات والفقه متطرفاً من باقي اجزاء الحكمة قد استغرق عقلهُ ووقتهُ في حب الكيمياء وعملها حتى صار يستخف بكل ما عداها. واجتمع اليَّ جماعة كثيرة وعرضت عليَّ مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر الملاصقة ودار الحديث التي تحتها واقمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلاً ونهاراً وزعم اهل الموصل انهم لم يروا من حد قبلي ما رأوا مني من سعة المحفوظ وسرعة الخاطر وسكون الطائر. وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف و يعتقدون انهُ قد فاق الاولين والآخرين وان تصانيفهُ فوق تصانيف القدماء فهممت لقصدهِ ثم ادركني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفهِ وكان ايضاً معتقداً فيها فوقعت على التلويحات واللمحة والمعارج فصادفت فيها ما يدل على جهل اهل الزمان ووجدت لي تعاليق كثيرة لا ارتضيها هي خير من كلام هذا الاحمق وفي اثناء كلامهِ يثبت حروفاً مقطعة يوهم بها امثالهُ انها اسرار الهية

(١) جابر ابن حيان الصوفي المتوفى سنة ١٦١ هـ صاحب كتاب اسرار الكيمياء

(٢) صاحب كتاب الفلاحة النبطية المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

ولما دخلت دمشق وجدت فيها من اعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحي جمعاً كثيراً منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ ابي النجيب وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير وابن العطار المقتول الوزير وابن عبيرة الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى بيننا مباحثات وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً لهُ جانب من السلطان لكنهُ كان معجباً بنفسهِ مؤذياً لجليسهِ وجرت بيننا مباحثات فاظهرني الله تعالى عليهِ في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبهُ فكان يتأذى باهمالي لهُ اكثر مما يتأذى الناس منهُ

وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيهِ غريب ابي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت بهِ في الموصل وعملت لهُ مختصراً سميتهُ المجرد وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً وكتاب الالف واللام وكتاب رُبَّ وكتاباً في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين . وقصدت بهذه المسئلة الردّ على الكندي

ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن تائلي نازلاً بالمأذنة الغربية وقد عكف عليهِ جماعة وتحزب الناس فيهِ حزبين لهُ وعليهِ فكان الخطيب الدولعي عليهِ وكان من الاعيان لهُ منزلة وناموس . ثم خلط ابن تائلي على نفسهِ فاخان عدوهُ عليهِ وصار يتكلم في الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليهِ واجتمعت بهِ قصار يسألني عن اعمال اعتقد انها خسيسة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها مني وكاشفتهُ فلم اجدهُ كما كان في نفسي فساء بهِ ظني وبطريقهِ ثم باحثتهُ في العلوم فوجدت عندهُ منها اطرافاً نزرة فقلت لهُ يوماً لو صرفت زمانك الذي ضيعتهُ في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية او العقلية كنت اليوم فريد عصرك محدوماً طول عمرك وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبهُ[1] . ثم اعذرت بحالهِ وازجرت بسوء ما كهِ والسعيد من وُعظ بغيرهِ فاقلعت ولكن لا كلّ الاقلاع . ثم انهُ توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليهِ الدولعي وعاد مريضاً وحمل الى البيمارستان فمات بهِ واخذ كتبهُ المعتمد شحنة دمشق وكان مشيعاً بالصنعة

ثم اني توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذٍ وكان قد اتصل بهِ شهرتي بالموصل فانبسط اليَّ واقبل عليَّ وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليهِ وخيمتهُ الى خيمة بهاء الدين فوجدتهُ يكتب كتاباً

(١) يراد بها الكيمياء الكاذبة او تحويل المعادن الى ذهب

الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلاً كلهُ رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجههُ وشفتاهُ تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنهُ يكتب بجملة اعضائه وسألني القاضي الفاضل عن قولهِ سبحانهُ وتعالى « حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها » اين جواب اذا واين جواب لو في قولهِ تعالى « ولو ان قرآناً سيرت بهِ الجبال » وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيلهِ بها فلما دخلت القاهرة جاءني وكيلهُ وهو ابن سناء الملك وكان شيخاً جليل القدر نافذ الامر فانزلني داراً قد ازيحت علتها وجاءني بدنانير وغلة ثم مضى الى ارباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرّت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة ايام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي وأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ رحمهُ الله اقرئُ الناس وكان قصدي في مصر ثلاثة انفس ياسين السيباني والرئيس موسى بن ميمون اليهودي[1] وابو القاسم الشارعي وكلهم جاؤني اما ياسين فوجدتهُ محالياً كذاباً مشعبذاً يشهد للشاقاني بالكيمياء ويشهد لهُ الشاقاني

(١) قال ابن ابي اصيبعة في ترجمته « هو الرئيس ابو عمران موسى بن ميمون القرطبي يهودي عالم بسنن اليهود ويعدُّ من احبارهم وفضلائهم وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية وهو اوحد زمانهِ في صناعة الطب وفي اعمالها متفنن في انواعهِ وله معرفة جيدة بالفلسفة وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى لهُ ويستطبهُ وكذلك ولدهُ الملك الافضل علي . وقيل ان الرئيس موسى كان اسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم انهُ لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط مصر ارتدَّ . وقال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى

ارى طب جالينوس للجسم وحدهُ ... وطب ابي عمران للعقل والجسم
فلو انهُ طبُّ الزمان بطبهِ ... لابرأهُ من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من بسطبة ... لتم لهُ ما يدعيهِ من التم
ودارواهُ يوم التم من كلف به ... وابرأهُ يوم السرور والسفر

وجاء في الانسكلوبيديا البريطانية انهُ ولد بقرطبة سنة ١١٣٥ م وكانت في اوج مجدها وسنة ١١٤٨ تغلب عليها الموحدون واضطهدوا من فيها من اليهود فانتقل هو ووالدهُ الى فاس في المغرب الاقصى فخرج فيها على عبد المغرب بن موبتا الشاعر وانتقل منها الى مصر سنة ١١٦٥ واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ويقال ان ريكاردس ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد عرض عليهِ ان يدخل في خدمته

بالسيماء ويقول عنهُ انهُ يعمل اعمالاً يعجز موسى بن عمران عنها وانهُ يحضر الذهب المضروب متى شاء وباي مقدار شاء وباي سكة شاء وانهُ يجعل ماء النيل خمرة ويجلس فيهِ واصحابهُ تحتها وكان ضعيف الحال . وجاءني موسى فوجدتهُ فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليهِ حب الرئاسة وخدمة ارباب الدنيا وعمل كتاباً في الطب جمعهُ من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب اخرى وشرط ان لا يغير فيهِ حرفاً الاَّ ان يكون واو عطف او فاء وصل وانما ينقل فصولاً يختارها وعمل كتاباً لليهود سماهُ كتاب الدلالة ولعن من يكتبهُ بغير القلم العبراني ووقفت عليهِ فوجدتهُ كتاب سوء يفسد اصول الشرائع والعقائد بما يظن انهُ يصلحها[1]

وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابهُ الجمع ورفعوهُ فوقهم واخذت في اقامة كلامي فلما تصرم المجلس جاء في امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا ابو القاسم الشارعي فاعتنقتهُ وقلت اياك اطلب فاخذتهُ الى منزلي واكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدتهُ كما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سيرتهُ سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورتهُ . قد رضي من الدنيا ببرض لا يتعلق منها بشيء يشغلهُ عن طلب الفضيلة . ثم لازمني فوجدتهُ تياهاً بكتب القدماء وكتب ابي نصر الفارابي[2] ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لاني كنت اظن ان الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبهُ واذا تفاوضنا الحديث أغلبهُ بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبني بقوة الحجة وظهور الحجة وانا لا تلين قناتي لهزوز ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برموز فصار يحضرني شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر وثامسطيوس يؤنس بذلك نفاري ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليهِ الندم رجلاً واوخرا اخرى

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليهِ فاخذت من كتب القدماء ما امكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة والقلوب محبة قريباً بعيداً سهلاً مهيباً واصحابهُ يتشبهون بهِ يتسابقون الى المعروف كما قال

---

(١) اما ابن ابي اصيبعة فذكر لهُ كتباً كثيرة وهي اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس ومقالة في البواسير وعلاجها ومقالة في تدبير الصحة ومقالة في السموم والحرز من الادوية القتالة وكتاب شرح المقالة وكتاب كبير على مذهب اليهود

وفي الانسكلوبيديا البريطانية ان لهُ كتباً كثيرة في الديانة اليهودية وكان لفلسفتهِ شان كبير في اوربا

(٢) هو ابو النصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان من فاراب مدينة في بلاد الترك بأرض خراسان كان ببغداد وانتقل الى الشام واقام فيهِ الى حين وفاتهِ وهو من اكبر فلاسفة المشرق ان لم يكن اكبرهم ولهُ كتب كثيرة في الفلسفة ويعوّل عليهِ في فهم فلسفة ارسطوطاليس

تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل » واول ليل حضرتهُ وجدت مجلساً حفلاً باهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة و يأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق وينفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتماً ببناء سور القدس وحفر خندقهِ يتولى ذلك بنفسهِ وينقل الحجارة على عاتقهِ ويتأسى بهِ جميع الناس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ويأتي دارهُ ويعدّ الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في المشاغل ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . فكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق واطلق اولادهُ رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار (١)

ورجعت الى دمشق واكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع وكلما امعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء وعرفت حقيقة الحال في وضعها وممن وضعها وتكذّب بها وما كان قصدهُ في ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين وتضاعفت شكري لله سبحانهُ على ذلك فان اكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء

ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودّع الحاج ثم رجع فمُنع فقصدهُ من لا خيرة عندهُ فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليهِ شيئاً مما يجدونهُ على الانبياء . وما رأيت ملكاً حزن الناس بموتهِ سواهُ لانهُ كان محبوباً يحبهُ البر والفاجر والمسلم والكافر . ثم تفرق اولادهُ واصحابهُ ايادي سبا ومزقوا في البلاد كل ممزق واكثرهم توجه الى مصر فخصبها وسعة صدر ملكها . واقمت بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الاولاد في السن الى ان جاء الملك العزيز بعساكر مصر يحاصر أخاهُ بدمشق فلم ينل منهُ بغية ثم تأخر الى مرج الصفر فتوجّع عرض لهُ فخرجت اليهِ بعد خلاصة منهُ فاذن لي في الرحيل معهُ واجرى عليَّ من بيت المال كفايتي وزيادة واقمت مع الشيخ ابي القاسم يلازمني صباح مساء الى ان قضى نحبهُ ولما اشتدّ مرضهُ وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسهِ واشرت عليهِ بدواء فانشد

لا اذود الطير عن شجرٍ قد بلوتُ المر من ثمرهِ

ثم سألتهُ عن المرض فقال ما جرح بميت ايلام

(١) خمسين جنيهاً وهي تعادل أكثر من مئة جنيه بمعاملة هذه الايام باعتبار ما يشترى بها من الحاجيات

وكان سيرتي في هذه المدة التي اقرئ الناس بالجامع الازهر من اول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب[1] وغيره وآخر النهار ارجع الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون وفي الليل اشتغل مع نفسي ولم ازل على ذلك الى ان توفي الملك العزيز وكان شابًا كريمًا شجاعًا كثير الحياء لا يحسن قول لا وكان مع حداثة سنه وشره شبابه كامل العقل . انتهى

ثم ان الشيخ موفق الدين اقام بالقاهرة بعد ذلك مدة وله الراتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين واتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان الذي لم يشاهد مثله وألف في ذلك كتابًا ذكر فيه اشياء شاهدها او سمعها ممن عاينها تذهل العقل وسمي ذلك الكتاب كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر . ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين الى القدس واقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الاقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنالك كتبًا كثيرة ثم انه توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها وذلك في سنة اربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال وكان بأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون اصنافًا من العلوم وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتبًا كثيرة وعرف به واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو . واقام بدمشق مدة وانتفع الناس به . ثم انه سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكينًا عنده عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والاقطاعات الكثيرة وصنف باسمه عدة كتب . وكان هذا الملك عالي الهمة كثير الحياء كريم النفس وقد اشتغل بشيء من العلوم ولم يزل في خدمته الى ان استولى على ملكه صاحب ارزن الروم وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر له خبر

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف « ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة رجعت الى ارزنجان من ارزن الروم وفي نصف ربيع الاول توجهت الى كماخ وفي جمادى الاولى توجهت منها الى دبركي وفي رجب توجهت منها الى ملطية وفي آخر رمضان توجهت الى حلب وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء ودخلنا حلب يوم الجمعة

(١) يظهر ان كل علوم ذلك العصر كانت تدرّس في الازهر حتى علم الطب

تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وامنها بحسن سيرة اتابك شهاب الدين واجتمع الناس على محبته لعدلته في رعيته »

اقول واقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه وكثرت تصانيفه وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم اتابك حلب جار حسن وهو متخل لتدريس صناعة الطب وغيرها و يتردد الى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرئ العربية . وكان دائم الاشتغال ملازماً للكتابة والتصنيف . ولما اقام بحلب قصدت ان اتوجه اليه واجتمع به فلم يتفق ذلك وكانت كتبه ابداً تصل الينا و يبث الي اشياء من تصانيفه من خطه وهذه نسخة كتاب كتبه اليه لما كان بحلب

المملوك يواصل بدعائه وثنائه وشكره وانتمائه الى عبودية المجلس السامي المولوي السيدي السندي الاجلي الكبيري العالمي الفاضلي[1] موفق الدين سيد العلماء في الغابرين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة في العالمين ولي امير المؤمنين اوضح الله به سبل الهداية وانار ببقائه طرق الدراية وحقق بحقائق الفاظه صحيح الولاية . ولا زالت سعادته دائمة البقاء وسيادته سامية الارتقاء وتصانيفه في الآفاق قدوة العلماء وعمدة سائر الادباء والحكماء . والمملوك يجدد الخدمة ويهدي من السلام اطيبه ومن الشكر والثناء أعذبه وينهي ما يكابده من اليم التطلع الى مشاهدة انوار شمسه المنيرة وما يعانيه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة . وما تزايد من القلق وتفاقم عند سماعه قرب المزار من الارق

وابرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الديار من الديار

ولولا امل تقول الركاب العالي ووصول الجناب المولوي الجلالي لسارع المملوك الى الوصول ولبادر المبادرة بالمثول ولجاء الى شريف خدمته وفاز بالنظر الى بهي طلعته . فيا سعادة من فاز بالنظر اليه ويا بشرى من مثل بين يديه و يا سرور من حظي بوجه اقباله عليه ومن ورد بحار فضله من غيرها وامتضاء بشمس علمه فسرى في ضياء منيرها . نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرتي الابصار والاسماع بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بث الى ابي في اول كتاب وهو يقول فيه عني « ولد الولد أعز من الولد وهذا موفق الدين ولد ولدي وأعز الناس عندي

(١) يظهر ان ألحاق الصفات بياء النسبة شاع في ذلك العهد المبالغة فيها وجرى عليه الكتاب ولو كانوا من خاصة العلماء

وما زالت النجابة تبين لي فيهِ من الصغر» . ووصف وائلي كثيراً وقال فيهِ « ولو امكنني ان آتي اليهِ بالقصد ليشتغل عليَّ لفعلت» . وبالجملة فانهُ كان قد عزم ان يأتي الى دمشق ويقيم بها ثم خطر لهُ انهُ قبل ذلك يحج ويجعل طريقهُ على بغداد وان يقدّم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفهِ ولما وصل بغداد مرض في اثناء ذلك وتوفي رحمهُ الله يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن بالوردية عند ابيهِ وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائباً خمساً واربعين سنة ثم ان الله تعالى ساقهُ اليها وقضى منيتهُ بها

احكام انكليزية في العمولة والسمسرة

٢

اذا اشترط السمسار على نفسهِ شرطاً لاخذ السمسرة ولم يقم بهِ سقط حقهُ بها . مثال ذلك ان جماعة من السماسرة اتفقوا مع شخص على ان يحضروا لهُ شريكاً ليشاركهُ في عملهِ ويقدم مبلغاً معيناً من رأس المال . فاحضروا الشريك ولكنهُ ابى ان يدخل شريكاً بعد ان عرف حقيقة العمل لانهُ رأى ان ربحهُ غير كاف . فطلب السماسرة سمسرتهم مدعين انهم احضروا الشريك ومعهُ المبلغ المطلوب من رأس المال . فحكم القاضي لورد كلردج ان الرجل الذي احضروهُ لم يصر شريكاً ولا دفع مالاً فلا تحق لهم السمسرة . ولكن لو طلب السماسرة تعويضاً عن العطل والضرر الناتج من ان صاحب العمل لم يقرر اولاً الحقيقة عن عملهِ ولو قرّر الحقيقة لما اتعبوا انفسهم بالتفتيش عن شريك لهُ فحكم لهم بالعطل والضرر

النص يمنع التضمين . اتفق معاذرة مع بعض الماليين على ان يجعلوا حكومة الصين تقترض منهم مبلغاً من المال لكن الماليين كتبوا في التفويض العبارة التالية وهي « اننا اذا لم نستطع ان نتم هذا القرض فلا حق لكم عندنا» . وادّعى السماسرة انهُ جرى كلام شفاهي كثير بينهم وبين الماليين والشروط المذكورة في التفويض هي بعض ما تمّ الاتفاق عليهِ وقالوا ان الشروط المكتوبة تحتوي ضمناً شرطاً آخر وهو ان لا يفعل الماليون شيئاً من شأنهِ ابطال القرض . فحكم القاضي انهُ اذا كانت الشروط مكتوبة فلا يعمل بما ليس مكتوباً فيها اذا كان مناقضاً لها وانهُ لا يجوز استنتاج شيء منها ضمناً الاّ اذا اتفق الفريقان على استنتاجهِ

لا يجب البيع انهُ تمّ الاّ اذا انتقلت الملكية ودفع الثمن . كلّف مالك سماراً ان يبيع لهُ

ارضاً بالمزاد ورسا المزاد على المشتري ولكن البيع لم يتم فطلب السمسار سمسرتهُ ورفض المالك حاسباً ان البيع لم يتم ورضي بان يدفع اجرة المزاد وتفقاته لانهُ ذكر في التفويض انهُ اذا لم يتم البيع فالمالك يعطي السمسار ثلاثين جنيهاً اجرة المزاد وقيمة المصاريف التي صرفها . فحكم القاضي للمالك قائلاً انهُ لا يجب البيع انهُ تم الاَّ بعد انتقال المبيع من البائع الى الشاري وامتؤانت الدعوى فايَّد الاستئناف الحكم الابتدائي

تحق السمسرة ولو بمجرَّد التعريف — كلف مالك سماراً ان يبيع لهُ ارضاً يملكها وكان السمسار دلاَّلاً فعرض الارض بالمزاد ولم تبع وجاءهُ حينئذٍ رجل وسألهُ عن صاحب الارض فدلهُ اليهِ وبعد ذلك سحب المالك التفويض من الدلاَّل وباع ارضهُ لذلك الرجل فطلب السمسار سمسرتهُ وحكم القاضي ارل ان الدلاَّل يستحق السمسرة اذا باع الارض حسب شروط الاتفاق بينهُ وبين المالك وهو لم يبع الارض فعلاً مع انهُ عرضها للبيع ولكنهُ عرَّف بصاحبها رجلاً اشتراها منهُ وقد سحب المالك منهُ التفويض بعد ان عرف المشتري بهِ فكأن المشتري اشتراها منهُ لما عرضها للبيع . فان القاعدة المقررة انهُ اذا وجد بائع وشارٍ وتمَّ البيع بفعل فعلهُ الوسيط بحسب كأنهُ تمَّ على يدهِ وتحق لهُ السمسرة

لكن اذا تمَّ البيع كنتيجة بعيدة نتجت من فعل السمسار لم تحق لهُ السمسرة . مثال ذلك ان سماراً احضر رجلاً الى بنك ليستلف منهُ نقوداً فابى البنك ان يسلفهُ ثم سمع بعض الماليين من البنك ان ذلك الرجل يحتاج الى سلفة نسلفوهُ المال المطلوب فحكم القاضي ككبرن ان لا حق للسمسار بالسمسرة لان ما حدث لم يحدث بواسطتهِ مباشرة بل حدث عَرَضاً لانهُ لولم يتفق ان سمع اولئك الماليون من البنك ان فلاناً يحتاج الى سلفة لما تم التسليف وزد على ذلك فالاتفاق بين المستدين والسمسار يقضي بان السمسار هو الذي يجلب الثقة للمستدين ولكنهُ لم يفعل فحكم المحلفون ان لا حق للسمسار بالسمسرة

ولكن اذا اتفق الاثنان على ان السمسرة تحق ولو حدثت النتيجة بغير واسطة السمسار مباشرة حقت السمسرة مثال ذلك ان رجلاً لهُ مركب اتفق مع سمسار على ان يبيع لهُ المركب وكتب في التفويض انهُ اذا تم البيع ولو كنتيجة عما يفعلهُ السمسار حقت لهُ السمسرة . فقال القاضي دنمن ان كلة كنتيجة in consequence كلة واسعة المعنى واراها تشمل النتائج المباشرة وغير المباشرة . وقال رئيس القضاة كولردج ان كلة كنتيجة اذا نظرنا اليها بخلو الغرض رأيناها تشمل النتائج القريبة والبعيدة ولذلك فنص التفويض يدل على ان الخصمين ارادا النتائج البعيدة او غير المباشرة

اذا اختلف الخصمان في هل حصل ما حصل بفعل السمسار فمن الحسن ان يسأل الشخص الثالث عن ذلك . سأل القاضي دفن مشتريًا قائلاً لهُ « لو لم تأخذ ورقة التعريف من السمسار الى البائع أكنت اشتريت البيت» . فاجاب « لا اظن » . فحكم المحلفون للسمسار بالسمسرة . وطلب مالك من سمسار ان يبيع لهُ بيتهُ فعرضهُ للبيع ثلاثة اشهر ولم يفلح فعرضهُ صاحبهُ للبيع بالمزاد العلني فاشتراهُ رجل والسمسار هو الذي هداهُ الى البيت ولكن القاضي لم يحكم لهُ بالسمسرة اذ رجح انهُ لو لم يعرض البيت بالمزاد لما اشتراهُ المشتري . واذا حقت السمسرة للسمسار لزم المشتري دفع سمسرتين

ولا ينحصر التعريف بان يعرّف السمسار رجلاً بآخر لا يعرفهُ بل يطلق ايضاً على تعريف رجل بعرفهُ اذ يراد بها ان يعرّف احدهما بالآخر كمن يريد البيع وكمن يريد الشراء . والتعريف بوكيل البائع او المشتري كالتعريف بالبائع او المشتري اذا كان وكيل البائع مفوضاً بالبيع ووكيل الشاري مفوضاً بالشراء

اذا فوض مالك الى سمسارة كثيرين بيع بيت لهُ او تأجيرهُ فالذي يبيعهُ منهم او يؤجرهُ يستحق السمسرة وحدهُ ولكن اذا انفق الآخرون نفقات في هذا السبيل كأن اعلنوا عنهُ في الجرائد او ما اشبه حق لهم شيء مقابل تعبهم تعويضاً . واذا تعذرت معرفة ايهم هو البائع الحقيقي او المؤجر الحقيقي فالذي كان الاول في ايصال الشاري الى البائع او المتأجر الى المالك احق من غيره ولكن ذلك قد لا يكون سبباً قاطعاً للاولوية . قال القاضي ارل لا شبهة ان القانون صريح ان السمسار الذي ارسل المشتري الى البائع يستحق السمسرة ولو تمّ الاتفاق بعد ذلك بين البائع والشاري مباشرة فاذا كان هناك سمسرة كثيرون مهتمين بمخاطبة المشتري فالذي كان الاول في ايصاله الى الشاري هو احقهم بالسمسرة

الاّ ان القاضي لويز حكم بالسمسرة للسمسار الذي حدث البيع بسببهِ او بسبب تعريفهِ ولو لم يكن اول من ارسل المشتري الى البائع

وقد يدّعي السمسار ان لهُ سمسرة على كل ما ينتج عن عمله ولكن لا يثبت لهُ هذا الحق الاّ اذا ذُكر صريحاً في التفويض مثال ذلك ان بيتاً تجاريًا كتب الى عميل لهُ يقول ان كل الطلبات التي تأتينا بسببك ونقبلها ويدفع لنا اصحابها قيمتها نعطيك عليها ٢ ١ في المئة . وكان للعميل معارف كثيرون فعرّفهم بهذا المحل مدة تسع سنوات فاتسعت تجارة المحل

جدًّا . ثم ان المحل صرف العميل فاعاده فادعى المحل انهُ يستحيل عليهِ ان يقوم ببذا الشرط الى الابد او مدة حياة المدعي . فقال القاضي لوبس في حكمهِ ان المدعي مصيب في دعواهُ وحكم لهُ بالعمولة . وايَّد الاستئناف الحكم

وارسل محل آخر عميلاً الى استراليا ليجول فيها ووعدهُ بان يعطيهُ ٧½ في المئة على صافي النقود التي تدفع اليهِ من ثمن البضائع التي يطلبها العميل او التي تطلب بسبب تعريف طالبيها بالمحل سواء طلبوها عن يدهِ او طلبوها مباشرة . وسنة ١٨٩٥ اعلنهُ المحل بان يترك خدمتهُ بعد ثلاثة اشهر فطلب ان تبقى العمولة تدفع اليهِ عن كل الزبائن الذين عرَّفهم بالمحل حسب الاتفاق . فقال القاضي مثيو في حكمهِ ان مدة الاتفاق غير محددة فيبقى العميل مستحقًّا لسبعة ونصف في المئة على كل الطلبات التي يطلبها الزبائن الذين عرَّفهم بالمحل ولكن يحق للمحل ان لا يتعامل مع هؤلاء الزبائن فتبطل هذه العمولة ثم وجدت مصاعب في تعيين الطلبات التي تحق لهُ العمولة عليها فحكم لهُ بمبلغ معلوم اعطيهُ مرة واحدة تعويضًا

ورفعت قضية اخرى مثل هذه الى القضاء سنة ١٨٩٩ حكم فيها القاضي مثيو حكمًا جليًّا قال فيهِ « ان المدعي يطلب ان يحكم لهُ بالعمولة على كل ما يطلبهُ الزبائن الذين عرَّفهم بهذه الشركة كأنهُ يطلب منها رسمًا ستويًّا دائمًا وهذا ليس من الانصاف . نعم ان الشركة ارتبطت مع المدعي بان تعطيهُ عمولة عن كل ما يبيعهُ للزبائن الذين عرَّفهم بها . وقد فصلتهُ الشركة عنها ولكنها لا تزال تعامل اولئك الزبائن الذين عرَّفهم بها لما كان وكيلاً لها وهي تقول انها لم تعد مكلفة ان تدفع اليهِ شيئًا بعد انفصالهِ عن خدمتها . والشركة غير مكلفة معاملة هؤلاء الزبائن واما اذا عاملتهم وجب عليها القيام بشروط الاتفاق ودفع العمولة للمدعي . وهذه البلاد حرة ويحق للشركة ان تفسخ العقد الذي ارتبطت بهِ مع المدعي اذا ارادت ولكنها انما تستطيع ذلك اذا اعطتهُ التعويض الكافي عن فسخ العقد . وتنحصر المسألة حينئذٍ في ما هو التعويض الكافي الذي يجب على الشركة ان تعطيهُ للمدعي مقابل فسخ العقد . ولمعرفة ذلك لا بدَّ من ان نعرف كم هو المبلغ الذي يمكن ان يربحهُ المدعي لو بقي في خدمة الشركة ولم يفسخ العقد . وهنا يجب ان نعتبر عدة امور مثل احتمال موت المدعي وتقلبات احوال التجارة واحتمال ابطال هؤلاء الزبائن التعامل مع الشركة وما اشبه . ثم حكم للمدعي بثلثمئة وخمسين جنيهًا تعويضًا

كاترينا الثانية امبراطورة روسيا

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٤٧٧

كاترينا الثانية امبراطورة الروس

خشنا الكلام في مقتطف سبتمبر بوفاة القيصر بطرس الاكبر وكان قد اوصى بالملك بعدهُ لزوجتهِ كاترينا الاولى فخلفتهُ سنة ١٧٢٥ ولكن الحزب الذي لم يرضهِ ما ادخلهُ من الاصلاح في بلادهِ سعى جهدهُ حتى نصَّب بطرس الثاني حفيد بطرس الاكبر وابن ابنهِ الكسس. وتوفي بطرس الثاني هذا بعد ثلاث سنوات وخلفتهُ الاميرة حنة ابنة الامبراطور ايفان فحكمت عشر سنوات من سنة ١٧٣٠ الى ١٧٤٠ . وفي ايامها علت كلمة الالمان في بلاط روسيا وصارت بلاد الروس مغنماً لهم. وخلفها ايفان ابن اختها لكنهُ أُنزل عن العرش طفلاً وخلفتهُ اليصابات ابنة بطرس الاول فجرت على ضد ما جرت عليهِ الامبراطورة حنة وافصت الالمان واعادت الى مجلس الشيوخ سلطتهُ التي خولهُ اياها بطرس الاكبر وسنَّت نظام القرعة وزادت الكوس على الواردات. وخلفها بطرس الثالث زوج كاترينا الثانية وكان ضعيف العقل ضعيف الرأي لكن كان عندهُ وزير حكيم فانقاد اليهِ وعمل بمشورتهِ وكان اول اعمالهِ انهُ اعفى الاشراف من القيد الذي قيدهم بهِ بطرس الاكبر وهو خدمة الحكومة وقال في اعفائهم ان القانون الذي وضعهُ جدي بطرس الاكبر كان في محلهِ حينما وضعهُ لانهُ اجبرهم على ان يتعلموا و يثقفوا حتى يستطيعوا خدمة الحكومة فتنشأ منهم القوَّاد العظام والسياسيون المتمكنون. اما ولد تمَّ الغرض المقصود فلم يبقَ داعٍ للتمسك بهذا القانون. فسُرَّ الاشراف بذلك وعزموا على ان يقيموا لهُ تمثالاً من الذهب اظهاراً لشكرهم فابى وطلب منهم ان يستعملوا الذهب لغاية انفع وقال انهُ يرجو ان يقيم لنفسهِ في قلوب رعاياهُ تذكاراً ابقى من التمثال. والغى ديوان البوليس السري وكان آفة على البلاد من بعض الوجوه مثل ديوان التفتيش. واهتمَّ باس المنشقين عن الكنيسة الروسية وكانوا قد اضطهدوا اضطهاداً شديداً حتى نقص عددهم من اربعين الفاً الى خمسة آلاف في ولاية نوفغورود وحدها وهرب الوف منهم الى القفقاز او هاجروا الى بلدان اخرى فامر بارجاعهم الى روسيا واعطائهم ارضاً في سيبيريا واخذ املاك الاديرة وقطع ارهبان مالاً يعيشون بهِ بدلاً منها وعفى عن الذين وقع بهم العقاب في الحكم السابق ونفوا

لكن سلوكهُ كان مخالفاً لاوامرهِ على خط مستقيم فسلب خدَّام الدين اموالهم واحتقر المذهب الارثوذكسي بعد ان اعتنقهُ لانهُ كان قد ربي على مذهب لوثيروس. واهان الكهنة

واغاظ ضباط الجيش وابطل الحرس الملكي وادخل في البلاد عادات غريبة وسنّ جديدة جاعلاً بلاط بروسيا انموذجاً لهُ وقاصداً الاقتداء بهِ في كل امر . وكان مولعاً بشرب البيرة فيقيم الليل كلهُ بين الكاس والطاس الى الصباح حتى يسكر سكراً طافحاً

وجرى في سياستهِ الخارجية على اسلوب وسّع مسافة الخلف بينهُ وبين شعبهِ ولاسيما بعد ما رأوهُ يباهي بتعطفهِ ملك بروسيا عليهِ ويحلف باسمهِ بعد ان كانت روسيا قد اذلت بروسيا . واعاد الى بروسيا كل الاملاك التي اخذتها روسيا منها وحالف ملكها فردرك الكبير محالفة هجوم ودفاع واولم وليمة فاخرة وقت توقيع هذه المحالفة شرب فيها نخب ملك بروسيا وهو يقول « نشرب نخب رئيسنا الذي شرفني بالتفاتهِ اياي على فرقة من جيشهِ وارجو ان لا يعزلني من هذا المنصب وأؤكد لكم اني اهجم على جهنم بجيشي اذا امرني بذلك » وكان فردرك الكبير قد اعطاهُ لقب قائد لفرقة من جيشهِ

وكان قد اقترن في صباهُ بابنة امير سكسوني اسمها صوفيا اوغسطا باشارة ملك بروسيا اتت بها امها الى روسيا وادخلتها المذهب الارثوذكسي وعمرها ١٥ سنة فسميت كاترينا فاقترن بها سنة ١٧٤٥ وعمرهُ سبع عشرة سنة فقط . وكانت جميلة المنظر ذكية العقل عالية المطالب فرأتهُ يقضي اوقاتهُ في تربية الكلاب والجرذان وتعليمها الحركات العسكرية ويغتاظ كلما نهتهُ عن ذلك او ابانت لهُ مخافة عملهِ ويتعشق نساءَ البلاط ويطلعها على فعالهِ فذلك وادمانهُ المسكرات ابعدا قلبها عنهُ لكن عزيمتها لم تضعف كأنها قصدت ان تتسلط على البلاد اذا عجز زوجها عن السلطة فتعلمت اللسان الروسي حتى برعت فيهِ ودرست تاريخ روسيا وعادات اهلها وقوانين حكومتها وعرفت كل ما يرضي الامة الروسية وما يغيظها فرسخ ذلك في نفسها حتى صارت روسية قلباً وقالباً ومهل عليها استمالة الشعب الروسي اليها . وتخرجت في العلوم والآداب العصرية فاتقنت اللغة الفرنسوية وقرأت كل ما كان ينشر فيها من كتب الادب والفلسفة وكانت كتب ڤولتير واضرابهِ تسليتها وجاهرت بانها من تلامذتهم في اصلاح شؤون البشر . وكانت تراسلهم دواماً . فبينما كان زوجها يقضي نهارهُ في اللهو واللعب وليلهُ في السكر والخلاعة كانت هي تثقف عقلها وتوسع معارفها وتزيد سطوتها على عقول كبار الامة . ولم يكن ذلك بالامر السهل في بلاط تشملهُ المفاسد لكنها فازت اخيراً وصار اهل البلاط كلهم يحترمونها رجالاً ونساءً . ولما استوى زوجها على عرش الملك سنة ١٧٦٢ جعل يستشيرها في امورهِ لانهُ كان يعترف لها بالتفوق العقلي والمقدرة الادارية مع انهُ كان يكرهها و يود التخلص منها . واضطرها ذات يوم ان تُلبس احدى خليلاتهِ وسام القديسة كاترينا فعزمت

من ذلك الحين على ان تتخلص منهُ قبلما يتخلص منها ولاسيما بعد ان بلغها انهُ امر بالقبض عليها ووضعها في احد الاديرة

وكان فريق كبير من ضباط الجيش واعيان الامة معها يرون ان لا بدَّ من خلع زوجها والمناداة بابنها بولس امبراطوراً وجعلها وصية عليهِ او المناداة بها امبراطورة فسمعها الكهنة وصية على ابنها ونادى بها الضباط امبراطورة وطافوا بها في الشوارع والشعب يحييها باسم امبراطورة روسيا. وكان زوجها خارج بطرس برج يعلّم جنودهُ الالمانيين ولم يكد خبر زوجتهِ يصل اليهِ حتى انصرف عنهُ كل اعوانهِ فتنازل عن عرش الملك في اليوم التالي وزار زوجتهُ وخليلتهُ معهُ فارسلتهُ الى مكان من اجمل اماكن روسيا ليقضي بقية ايامهِ فيهِ وارسلت معهُ اربعة من اودع الضباط لكن اولاد اورلوف تبعوهُ اليهِ وحاولوا قتلهُ سمًّا فتعذَّر عليهم فخنقوهُ خنقاً والامبراطورة لا تعلم ذلك على ما يظهر ولكن يقال ان احد اولئك الرجال كان خليلاً لها فكأنهُ عمل بما ظنَّ انهُ يرضيها. قال السفير الانكليزي الذي كان في ذلك الوقت بعثت اليَّ الوزارة الروسية برقعة تقول فيها « ان وزير الامبراطورية الروسية يرى من واجباتهِ ان يعلم وكلاء الدول الاجنبية ان الامبراطور السابق أُصيب بغتةً بمغص شديد كان معرَّضاً لهُ فتوفي امس »

وكتب فولتير في ما كتبهُ عن الامبراطورة كاترينا ما يأتي « لا يخفى انها تُذكَر باللوم على امور طفيفة من حيث علاقتها بزوجها. هذه مسائل عائلية لا اتعرض لها وخير للمرء ان يكون فيهِ عيب يحاول اصلاحهُ لانهُ يضطر حينئذٍ ان يبذل وسعهُ لنيل احترام الناس لهُ واعجابهم بهِ ». وقد فعلت كما قال لانها انست الروسيين ما مضى وجعلتهم يذكرونها دائماً بالاعظام والاجلال

ولا يسعنا ذكر كل الاعمال السياسية والحربية التي قامت بها هذه الامبراطورة فنكتفي بما قلَّ ودلَّ فانهُ لم يكد الامر يستتبُّ لها حتى وجَّهت عنايتها الى علاقات بلادها بالبلدان المجاورة فجرت على خطة الذين سلفوها وهي توسيع بلادها من كل جهة ولاسيما من جهة البحر فنالت فوزاً كبيراً لم ينلهُ فيهِ احد. واول شيء فعلتهُ انها طردت صاحب كورلند واقامت عليها اميراً من قبلها ثم ما زالت تضايقها حتى انضمت الى الامبراطورية الروسية سنة ١٧٩٥ وهي امارة صغيرة على بحر بلطيق مساحتها نحو عشرة آلاف ميل مربع وعدد سكانها الآن نحو سبع مئة الف نفس. واظهرت العداء لفردرك الكبير ملك بروسيا ولكنها لما رأت انهُ لم يعاملها بمثل ما عاملتهُ بهِ ولا وجدت في ما دار بينهُ وبين زوجها من المراسلات شيئاً

يغيظها حالتهُ محالفة هجوم ودفاع دامت الى آخر ايامهِ وغرضها الاكبر منها امتلاك بولندا او اقتسامها . وكان في بولندا حزبان حزب يؤيد الحرية الدينية وحزب يمنعها فايدت في الحزب الاول وقاومت الحزب الثاني فتمزق شملهُ واضطرَّ اعضاؤهُ ان يهربوا الى بلاد النمسا وبلاد الدولة العلية فاغتاظت الدولة من تقدم الروس في بولندا وشهرت الحرب على الامبراطورة كاترينا ويقال ان سفير فرنسا هو الذي حمل الباب العالي على محاربة روسيا . وكانت جنود الامبراطورة كاترينا في بولندا فلم تكن متأهبة لمحاربة الباب العالي لكنها كتبت الى قوادها تقول « ان الرومانيين لم يكونوا يسألون عن عدد خصمهم بل كانوا يكتفون بالسؤال اين هو » . وكان الصدر الاعظم قد حمل على تخوم روسيا بمئة الف محارب سنة ١٧٦٨ فامرت القائد اسكندر غالتسوين ان يتقدم للقائهِ بثلاثين الفاً وامرت رومانتسوف ان يحتل اكرينا مخافة من ثئار القرم والتقى غالتسوين بالصدر الاعظم فرب خوتين وفاز عليهِ ونزل في الفلاخ والبغدان وذلك سنة ١٧٦٩ وفي السنة الثانية تغلب رومانتسوف على خان التتار وهاجم الصدر الاعظم في كهول فحدث ما ساعدهُ على الفوز عليهِ . وسنة ١٧٧١ اجتاح الروس كل بلاد القرم واستولت جنود الفلاخ على حصون الطونه واجتاحوا بسارابيا واخذوا مدينة بندر ودخلوا بلاد البلغار

وبعثت الامبراطورة بعمارة بحرية من بحر بلطيق دارت حول اوربا ودخلت بحر الروم ووصلت الى بلاد اليونان والتقت بالاسطول العثماني في سانصن وتغلبت عليهِ ويقال ان الاسطول العثماني انتصر على الاسطول الروسي اولاً وعاد بعد النصر الى ميناء جشمه فتبعهُ حراقتان من اسطول الروس ظن العثمانيون انهما فرَّتا من الاسطول الروسي والتجأتا للانضمام اليهم فلم يعارضوهما في الدخول الى المرفإ لكنهما لم تلبثا ان دخلتا حتى القتا النيران في الاسطول العثماني فاحترق كلهُ وذلك في ٦ يوليو سنة ١٧٧٠ فخاف الناس في الاستانة من وصول العمارة الروسية اليها ويقال انها لو ظلت سائرة حينئذٍ لما منعها شيء عن اخذ الاستانة ولكن اورلوف اميرها اضاع الفرصة باشتغاله بالجزائر جزيرة جزيرة والحال قام البارون توت[1] وانهض همة الباب العالي الى تحصين الدردنيل وسبك لهُ المدافع الكبيرة حتى اذا جاءت الاسطول الروسي وجدهُ امنع من عقاب الجو . الاَّ ان الروس استولوا على ازاق وكل بلاد القرم وسواحل البحر الاسود بين نهر الدنيبر والدنيستراي على بسارابيا

(١) امير بحري فخنس بالجنسية الفرنسوية وصار فضلاً لفرنسا في بلاد القرم ثم دخل خدمة الدولة العلية فاصلح القلعة وحصن الدردنيل

والفلاخ والبغدان وجانب من البلغار وجزائر الارخبيل . ورأت النمسا ذلك فراعها دنو روسيا منها وعزمت ان تقتدي تركيا ببولندا فان ملك بروسيا ارسل اخاهُ الى بطرس برج ليقنع الامبراطورة كاترينا ان تقدمها في بلاد الدولة العلية يغيظ النمسا وفرنسا فيعاونان الدولة العلية عليها وهو لا يستطيع مساعدتها لشدَّة ما قاستهُ بلادهُ في الحروب الماضية ولذلك فالسبيل الاصلح والآمن لها ان تأخذ جانبًا من بولندا بدل ما تتوقع اخذهُ من بلاد الدولة وتسمح بما بقي منها لبروسيا والنمسا

وكانت تود سلامة بولندا وتريد الاحتفاظ بها على شرط ان يكون لها فيها الكلمة العليا ولكنها رأت حينئذٍ ان لا قبَل لها بمحاربة تركيا والنمسا وفرنسا فاضطرت ان تقبل ما عرضهُ عليها ملك بروسيا فاقتسمت مملكة بولندا مع بروسيا والنمسا (١)

وعقدت شروط الصلح مع الدولة العلية سنة ١٧٧٤ ومن مقتضاها استيلاء الروس على كثير من الحصون والمواقع المنيعة وان تدفع الدولة العلية اربعة ملايين وخمس مئة الف روبل (٦٧٥ الف جنيه) غرامة حربية وتفتح البوسفور والدردنيل للسفن الروسية التجارية ويكون لتجار الروس ما لتجار الفرنسويين من الحقوق في بلاد الدولة . وتعترف الدولة العلية باستقلال تتار القرم وركوبان والولايات المجاورة وتعطي روسيا ازاق وكريش وقلبرن وكل المواقع الحصينة في القرم وكل سواحل البحر الاسود الشمالية وتعترف بحماية روسيا للمسيحيين الذين في امارات الطونا. وتسمح لها ببناء كنيسة في الاستانة . وردت روسيا الفلاخ والبغدان الى الدولة العلية بعد ان احتلتهما

لكن هذا الفوز الحربي تبعتهُ رزيئة طبيعية من اشد الرزايا فان الطاعون انتشر في روسيا حتى بلغت الوفيات بهِ في مدينة موسكو الفًا في اليوم في شهري يوليو واغسطس سنة ١٧٧١ وبلغ من هوس العوام ان قاموا على رئيس الاساقفة وقتلوهُ ونهبوا بيتهُ لانهُ منعهم من تقديم القرابين الى صورة العذراء وكثر الشغب حتى اضطرت الحكومة ان تفرق شمل المشاغبين

(١) هذا هو التقسيم الاول ثم الغي وعادت بولندا الى استقلالها واصلحت شؤونها ولكنهُ اعيد على اسلوب آخر واخرجت النمسا منهُ واعيد ثالثة وادخلت النمسا فهو تجعل نصيب روسيا بلادًا يسكنها مليون ومئتا الف نفس وبروسيا بلادًا يسكنها مليون نفس والنمسا بلادًا يسكنها مليون نفس وذلك كلهُ في عهد الامبراطورة كاترينا . وصحح هذا التقسيم بعد ذلك فوسع نصيب روسيا . والآن يبلغ عدد البولنديين في قسم روسيا ١٦ مليونًا وفي قسم بروسيا ثلاثة ملايين وفي قسم النمسا خمسة ملايين

بالسلاح . وتلت ذلك ثورة اميليان بوغتشف التي كادت تزعزع اركان الامبراطورية وبعد وقائع دموية كثيرة قُبض عليهِ واتي بهِ الى موسكو وقتل فيها

وارتأت روسيا ان يكون بينها وبين بلاد النمسا وبلاد الدولة العلية مملكة مستقلة مؤلفة من الفلاخ والبغدان وبسارابيا ويكون لها ملك ارثوذكسي وتأخذ روسيا اوتشاكوف وساحل البحر بين البُغ والدنيبر وجزيرة او جزيرتين من الارخبيل الروسي وتأخذ النمسا البوسنه والهرسك من املاك الدولة العلية ودلماتيا من املاك البندقية وتعطيها بدلاً منها بلاد المورة وكريت وقبرص . وتعاد امبراطورية الروم وينصب عليها امبراطور حفيدها الغراند دوق قسطنطين الروسي وكانت قد عُلمتْ اللسان اليوناني لهذا الغرض . فحسن هذا الرأي لدى امبراطور النمسا ولم تضادهُ فرنسا ولكن انكلترا وبروسيا ضادتاهُ وانضمت اليهما هولندا وانحازت هذه الدول الثلاث الى الدولة العلية انتقاماً من روسيا . وفي ٢٦ يوليو سنة ١٧٨٧ ارسل الباب العالي الى سفير روسيا بلاغاً يطلب فيهِ اخراج موروكرداتو حاكم البغدان من بلادها واسترجاع قناصلها في اساي وبخارست والاسكندرية ورفع حمايتها عن اراكلي الثاني قيصر جيورجيا ويطلب ايضاً ان يفتش مأمورو الباب العالي كل السفن الروسية المارة في البوسفور . ولما ابى السفير اجابة الباب العالي الى طلبهِ قُبض عليهِ وسجن في الابراج السبعة وشهرت الدولة الحرب على روسيا وكانت بروسيا محفزة على روسيا حينئذٍ وكذلك اسوج فوقعت الامبراطورة كاترينا بين ثلاث نيران الآن امبراطور النمسا حالفها وشهر الحرب على الدولة العلية وخرج لقتال جنودها بمئتي الف محارب فدارت الدائرة عليهِ ودخل الصدر الاعظم بلاد المجر والتقى بالامبراطور وهو باربعين الف محارب وهزمهُ . ودامت هذه الحرب من اواسط سنة ١٧٨٧ الى اخر سنة ١٨٩١ وكثرت فيها المعارك برّاً وبحراً ولكنها كانت سجالاً عقد النصر فيها مراراً للعثمانيين ومراراً للروس . ومات امبراطور النمسا في غضون ذلك فعدل خلفهُ عن استئناف القتال ثم امضيت شروط الصلح في يناير سنة ١٧٩٢ وكانت الامبراطورة كاترينا قد قلقت بما حدث في فرنسا من الثورة فرحّبت بالصلح لاسيما وانها اخذت بهِ اوتشاكوف وساحل البحر الى الدنستر واعترفت الدولة بحمايتها لتفليس وكرناليناء وسيأتي الكلام على ادارة هذه الامبراطورة في بلادها وما ادخلتهُ فيها من وسائل العمران

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتفضاء ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتحبيباً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

الطريقة الحديثة للتعليم

طالعت ما جاء في المقتطف عن الطريقة المنتسورية في تعليم الاولاد الفقراء واطلعت على ما يماثلها في بعض المحلات الاوربية باختلاف جزئي بينهما فشكرت لكم اجتهادكم المتواصل في البحث والتفتيش عن كل فائدة عملية وادبية واجتماعية وسبقكم دائماً الى نشرها في المقتطف خزانة العلم وروضة الادب ورأيت ان من صدق الخدمة الوطنية ان نطبق هذه الطريقة على حالة الوطن الاجتماعية لانهُ لا يكفينا ان نطلع على ما يعمل في الخارج وان نقتصر على استحسانهِ بل يجب ان نستفيد منهُ ونسج على منوالهِ اذا كنا في حاجة اليهِ

لا يزال عدد الاميين في اسبانيا كبيراً جدًّا والجهل فيها فاشياً فقام بعض دعاة الاصلاح ورسل الانسانية لمثل هذه النشة من وهدة الجهل على نحو ما ذكرتم في الطريقة المنتسورية فوفق عملهم بالغرض وافى بنتائج حسنة جدًّا . واول من قام بهذا العمل اندرياس مونيون احد رهبان الجبل المقدس في غرناطة واستاذ في كليتها . وبالاهالي هناك من اشد الناس جهلاً واكثرهم نفوراً من العلم وعيّن لهم المعلمين الفقراء لجمع الاولاد الفقراء والمشردين واخذ يقدم لهم ما يلزمهم من الغذاء اليومي ويكسوهم مرتين في السنة ويقدم لباس الحداد للايتام ويكافئ الناجحين بالجوائز ومتى بلغوا الحد الذي يستطيعون بهِ العمل يساعدهم على الزواج وعلى ايجاد عمل يعيشون منهُ

اما طريقة التعليم فاعطاء الدروس في الفلاة والهواء المطلق وفي حسية وعملية بحيث يسهل تحصيلها بدون جهد وعناء فيرسم على الجدران الحروف والارقام والخرائط وعلامات الموسيقى ويرسم على الارض جداول الحساب والخرائط الجغرافية ويطلق على الاشجار

الكرات الارضية والفلكية . واجتذع العابًا يتعلم منها الاولاد الحساب والجغرافية ونظم اغانيَ يتغنون بها في ذهابهم وايابهم ويتعلمون منها التاريخ بحيث اصبحت معرفة المتخرجين راسخة في اذهانهم ويستطيعون ان يجاوبوا على الاسئلة التي تلقى عليهم في الجغرافية والتاريخ والفلك افضل مما يجاوب عليها كثيرون من حائزي البكلوريا . واما البنات فيتعلمن الخياطة والتطريز وتدبير المنزل . ولكي لا يبقى محل للكسل او الضجر يعطي كل ولد قطعة ارض صغيرة ليحرثها ويزرعها قبل ميعاد الدرس وبعلمهُ ان يحترم حقوق جاره . وهو واعوانهُ افضل مثال لهذا المبدإ يعاملون الاولاد معاملة احترام ويغرسون في اذهانهم معرفة الواجبات الادبية فيصلحونهم بصلاح الدنيا والآخرة . ويقول ان الولد يستطيع ان يستفيد من كل شيء وفي كل وقت حتى في وقت اللعب

ان طبقة الشعب الواطئة في ضواحي غرناطة ادنى حالة من مثلها في مصر فقام هناك رجل في رأس عمل عظيم فاصلح الفاسد وقوم المختل ونحن في وطن وان فشا فيهِ الجهل ففيهِ كثير من ذوي النبوغ والثراء والاحسان والاريحية ولا يعوزنا سوى الخطوة الاولى للعمل واري من واجب الوطنية الفات النظر الى ذلك عسى ان يكون لهذا الصوت الضعيف صدًى في الاندية العالية

لا ينكر ان السواد الاكبر من الشعب المصري لا يزال اميًّا وان الطبقة الواطئة منهُ لا تعرف للنظافة معنى ولا اخشى ان اقول انهُ يضرب المثل بقذارتها ومن الثابت ايضًا ان وفيات الاطفال كثيرة جدًّا بالنسبة الى ما هي عليهِ في الامم الاخرى ومثلها نسبة امراض العيون والعمى والكساح وغيرهِ من امراض البنية التي تسبب من سوء المعيشة والقذارة

وقد تألفت في القطر جمعيات خيرية لتلافي هذه المحذورات واوفاها غاية جمعية رعاية الاطفال التي تخدم الامة خدمات جليلة على اني ارى انها لم تقف بالغاية المطلوبة لان من يألف عادة يصعب عليهِ تركها فالام التي تأتي بابنها الى مركز الجمعية وتستفيد من ارشاداتها ترجع بعد قليل الى عادتها القديمة لان الجديدة لم ترسخ فيها بعد . فاذا وسعت الجمعية دائرة عملها او تألفت جمعيات اخرى تعضدها بتعليم اولاد الفلاحين على طريقة الدرياس مونيون وفي الوقت نفسهِ يجعل لعلم الصحة حصة في الدروس حصل من ذلك فائدتان الاولى تعليم الاولاد والثانية حفظ صحتهم

الجهل عاهة نفسية يجب مداواتها كما تداوى الاسقام في الاجسام حتى لا يتجاوز ضررها الى المجموع . ومن الحكم المأثورة ان العقل الصحيح في الجسم الصحيح فيجب ان يعتنى بالجسم

ليكون بصلاحه صلاح الاحوال العقلية والنفسية . والنظافة سور لصحة الاجسام وركن لصحة الاذهان . وعندي ان من واجب كل امة ان تشيد بجانب هياكل العبادة هياكل لعبادة الهة النظافة ليرسخ في ذهن كل انسان ان الصحة والنظافة والنور والهواء النقي هي من معبودات المنزل ويجب ان يكون لعلم الصحة نصيب في الدروس المدرسية وان يكون لهُ الحصة الكبرى في كتائب البنادر والارياف

الشيء بالشيء يذكر فيحسن ان نذكر هنا عملاً مفيداً اقترحتهُ على شركات طب الكبريت الاميرة هس دارمشاد التي تهتم بمقاومة السل وعدم انتشاره بين الفلاحين وهو ان تكتب الشركات على وجهي العلبة التعليمات اللازمة للوقاية من السل لكي يحيط العموم علماً بها حتى في اقاصي البلاد

النشرات الروائية كثيرة والمتهافتون على مطالعتها كثيرون وهي لا فائدة منها سوى ضياع الوقت بمطالعة حوادث خيالية تضرب على نغم واحد عشق وخيانة ومكر وقتل . فلو تألفت جمعية لتأليف النشرات الصحية وتوزيعها على الفلاحين وروعيت فيها اذواق القوم البسيطة وكتبت فيها المقالات الصغيرة التي لا يمل من مطالعتها وتضمنت من الفوائد الصحية والمنزلية والعلمية ما يكون مسبوكاً بقالب من الفكاهة لجاءت من الفوائد بما لا تقدر قيمتهُ في المستقبل القريب . واري ان جمعية رعاية الاطفال تستطيع القيام بهذا العمل وهي اذا قامت بهِ الى ان يتيسر لها توسيع نطاق عملها وتعميمهُ في البلاد فانها تخدم الانسانية والوطن خدمة تذكر فتشكر

الدكتور امين ابو خاطر

كلمة لا بد منها

حضرات اصحاب المقتطف الفخام

قدمت الى ساحة فضلكم الزاخر بضع مسائل ادبية اجتماعية فاجبتموني عن بعضها في عدد اكتوبر من سنتنا الحالية (١٩١٢) صفحة ٤٠٥

سألتكم عن فائدة الصلاة والصوم وقلت « ان الله سنَّ شرائع الطبيعة ونواميسها وهو لا يقدر ان يتعدى احداها لئلا يخرب نظام الكون » فاجبتم « ان ذلك تحكم لا دليل على صحتهِ » فعجبت من قولكم هذا لما اعهدهُ فيكم من سعة الاطلاع والوقوف على دقائق الحقائق ولعلكم ذهبتم ذلك خلاف ما اردت ولاجل زيادة البيان التي عليكم بعض اسئلة راجياً من حلمكم ان تتنازلوا وتجيبوني عنها على صفحات مجلتكم الزاهية ولكم من بعد الفضل . اما الاسئلة فهي

١ً ايستطيع المبدع الحكيم ان يوقف الارض فجأة عن مسيرها السريع من دون ان تصيح بلقعاً خاوياً خالياً

٢ً اني وسعهِ ان يثبت القمر في كبد السماء مدة من الزمن بلا هياج في البحر وحصول مد يغرق الارض طرًّا

٣ً ايمكنهُ ان يفصل أرضنا عن الشمس بلا ضرر عظيم وخراب مستديم

٤ً ايقدر ان يجعل الشمس تترك مقرها وتسير في طلب الارض من دون ان تتبعها الكواكب

٥ً اني طاقتهِ الغاء ناموس الجاذبية او الدفع العام

٦ً اني امكانهِ ارجاع الشيخ الهرم طفلاً رضيعاً

٧ً اتساعدهُ النواميس الطبيعية ان يقي من الموت من يلقي بنفسهِ من جبل شاهق الى الحضيض او من يطرح نفسهُ في اتون من النار و بحيرة من الكبريت

٨ً اني استطاعتهِ ان يجعل النبي الجاهل نوًّا عالماً فاضلاً

ويمكنني ان آتي بمسائل غيرها ولكن ما تقدم كاف لاظهار ما نحن بصددهِ . ويليق بي دفعاً لشكوك البعض واعتراضاتهم ان اصرح على رؤوس الملإ قائلاً ان المسائل المار ذكرها لا تحط من قدرة تعالى وسلطتهِ المطلقة بل بالعكس تؤيد حكمتهُ السامية التي اوجدت المسكونة وسنت نواميسها الراسخة وفي الختام تكرموا بقبول فائق والسلام

بغداد ١٤ نوفمبر ١٩١٢ رزوق عيسى

جاءتنا هذه الرسالة منذ سنة وتغلغلت بين اوراقنا فلم ننتبه لها الاَّ الآن . ونحن نرى ان كل حكم يحكم بهِ الانسان على شيء لا يعلمهُ فهو تحكُّم فقولنا ان خالق الكون لا يستطيع ان يفعل هذا الشيء او ذاك من قبيل التحكُّم لان البشر لا يعلمون مبلغ قدرة الخالق . وكيف يمكننا الجزم في امور لا نعلمها ونحن لا نستطيع الجزم في الامور التي تقع تحت حواسنا

وقولنا ان الحكم على امكان المجهول او استحالتهِ تحكُّم لا ينفي انهُ ممكن او مستحيل بل ينفي قدرتنا على الجزم بانهُ كذا او كذا لان جزمنا بالشيء يجب ان يكون مبنيًّا على معرفة كنههِ وكل ملابساتهِ ولا سبيل الى هذه المعرفة

هذا وكلة تحكُّم مصدر من تحكَّم في المسألة حكم فيها برأي نفسهِ من غير ان يبرز وجهاً لحكمهِ . فقد يحتمل ان يكون الامر كما قلتم من حيث الصلاة ومن حيث عدم قدرة الخالق على توقيف الارض فجأة عن مسيرها السريع من دون ان تصيح بلقعاً خاوياً خالياً كما قلتم الى

آخر ما ذكرتموهُ من هذا القبيل وقد يمكن ان لا يكون الامر كما قلتم ولكن لا يستطيع معرفة ذلك والجزم بهِ الاَّ من احاط علمًا بقدرة الخالق . ومثلنا في هذا الامر وامثالهِ مثل بعوضة تقول انهُ يتعذر على الانسان القيم في اسيا ان يخاطب اهالي اميركا بل النسبة بيننا وبين الخالق ابعد جدًّا من النسبة بين البعوضة والانسان

العمال في القديم

يظهر ان الشعر لم يكن في كل العصور كما صار في بعض الازمنة صناعة الذين لا صناعة لهم غير التزلف للحكام واستنداء اكف اصحاب المال بهدهدة أعصابهم وهم اذا انصفوا « يجيزونهم » بالظلم والبخل على هذا الكذب. ولا صناعة المتباكين لاستعطاف الحسان وهن يقابلنهم بالاعراض لانهنَّ وان عطفن مرة على المتذلل فلا يتقدن الاَّ الى الابي . ولا صناعة من اذهلهم الترف فظنوا الحياة خيالاً او خيالاً وما ظنوا ذلك لو عضهم الجوع عضة جامدة. ولا صناعة من اذا « ما خلا بارض طلب الحرب وحدهُ والنزالا » لقام بفل الجيوش بقنابل الكلام وهو يحفر في الارض ليختبئ

بل كان صناعة رجال ونساء كالرجال يعظمون مفخرة ليقتدى بها . ويصفون مظلمة لينتبه اليها . ويضربون الباطل لينعروا حقيقة . ويدونون حكاية حال ليعول التاريخ عليها . — واما في قصيدة مصرية قديمة منذ بضعة آلاف من السنين تصف حال العمال في ذلك العهد القديم اصدق وصف مارضي التاريخ المكذوب امس واليوم قط ان يقص رواية اصدق وابسط منها . فانا اعرضها على شعرائنا المطبوعين لعلهم ينظمونها لنا او ينظمون ما هو نظيرها في عصرنا لان حالتنا وان اصطلحت في بعض الجامع بعض الشيء فانها لا تزال تنضح بالمظالم . وعسام اذا فعلوا ان لا يعرّجوا في سبيلهم على لصور المدح واكواخ القدح لئلاَّ تغلبهم السليقة فيركبوا متن المغالاة ويطمسوا الحقيقة . بل ان يكون نظمهم من قبيل الشعر الوصفي التقريري البسيط فان البساطة حينئذٍ تكون ادنى الى البلاغة والفائدة من التعمية والتحشية بكثير . ولكني اخشى عليهم حينئذٍ ان تخونهم الالفاظ اذا دخلوا الى دكان الصانع اوجالوا في حقل الزارع لان اللغة العربية بفضل الجامدين — لم تفت للارضيات والاجتماعيات بل للاحلام والسعاديات . ولعلهم اذا سمعوا لفظة المعول او الطين في بيت تظلمهم « نكتة » العاجز فيقولون ما اشبه هذا الشعر « بالطين » ليقولوا انهُ ليس بشعر . كما لو وقع للكاتب المتفرنج اشباه لفظة « المليم » او « الاتوموبيل » اعرض

عنها وقال هذا ليس بعربي واستغنى عن الاسم ولم يستغن عن المسمى لئلا يشبهوا حينئذٍ ذاك الذي ادعى انهُ ألم بلغة الفرنسيس وهو لا يدري الاَّ القليل منها . فسألهُ احد الظرفاء عن اسم علة وسماها لهُ بالعربية ولم تكن من الالفاظ الشعرية ولا مما يرد في انشاء البلغاء ولكن العامة تفهمها جيداً . فقدح صاحبنا زناد فكرهِ ولم يشأ ان يقر بجهلهِ واجاب : هذه العلة لا توجد عند الفرنسيس ! . غاية ان نعلم انا كنا في عصر ونحن اليوم الى عصر كانت وستكون فيهِ اشباه لفظة المعول والطبي افضل من المرود والكحل وكما نحن اليوم في فترة بينهما

اما القصيدة موضوع كل هذه الطنطنة فهي : « لم ارَ حداداً سفيهاً ولا صهاراً في رسالة بل رأيت الصانع في المعدن مكبّاً على عملهِ امام حلق كورهِ واصابعهُ خشنة كجلد التمساح ورائحتهُ نتنة كرائحة بيض السمك »

« الصانع الذي يشتغل بالمقص لا يتحرك قدر ما يتحرك العامل بالرقش . ولكن حقلهُ الخشب وعملهُ المعدن . فبينا ذاك حر في الليل هذا يشتغل بيديهِ في الليل على ضوء السراج لوقت شغلهِ في النهار »

« النحات الذي ينحت الحجارة الصلبة متى كسب شيئاً وكلَّت يداهُ استراح في آخر النهار ولكن اذا رأوهُ عند طلوع الشمس جالساً شدوا ساقيهِ الى ظهرهِ »

« الحلاق يشتغل من الصبح الى المساء ويأكل وهو راكض من حارة الى حارة يبحث عن عمل لهُ . فاذا كان نشيطاً اشبعت يداهُ بطنهُ فهو اشبه شيء بالنملة التي تأكل على قدر جناها »

« أأحدثك عن البنَّاء وما يقاسيهِ من العناء ؟ هو معرَّض لكل الرياح . فبينا هو لا يجد على بدنهِ من الكساء سوى منطقة مشدودة على وسطهِ وبينا طاقة النيلوفر المعلقة على البيوت التي فرغ بناؤها بعيدة عنهُ يضني العمل ذراعيهِ . ومؤونتهُ (اكلهُ) مبعثرة هنا وهناك مع سائر اقذارهِ . هو يأكل نفسهُ اذ ليس لهُ من الخبز الاَّ خبز يديهِ حتى يهبط مرة واحدة . يضنى من شدة التعب لان امامهُ (على الدوام) صخراً يلزم ان ينقلهُ الى هذا البناء او ذاك والصخر عشر اذرع في ست . فاذا فرغ من العمل فان بقي معهُ خبز رجع الى البيت حيث يجد اولادهُ قد شبعوا من الضرب في غيابهِ »

« والحائك يقيم في البيت بحال هي شر من حال المرأة وهو مكبٌّ على ركبتيهِ وركبتاهُ في معدتهِ لا يستطيع ان يتنفس . فاذا ابطأ الحياكة في النهار رُبط كالنيلوفر في الحوض . ومنع عنهُ النور الاَّ اذا أعطى حراس الابواب خبزاً »

« الصباغ اصابعهُ تنة ورائحتها كرائحة بيض السمك وعيناهُ مغمضتان من التعب و يدهُ لا تقف . وهو يشتغل على الدوام بقص الخرق القديمة وكذلك ترى ثوابهُ بحالة تنفي النفس»

« الاسكافي حالتهُ سيئة جدًّا . يشكو على الدوام وصحتهُ كصحة السمك الذي يبيض وهو يأكل الجلد باسنانهِ »

« الخباز يعجن ويخبز دماً و بينا رأسهُ في الفرن يسكهُ ابنهُ برجليهِ فاذا افلت منهُ سقط في النار » . انتهى

شبلي شميل

مساء السبت

في شوارع بورتلند أرغُن

بقلم احد العملة

حبالُ الشمس مُدَّت في الفضاء لايقاعي باشراك العناء
بسجن مظلم احيي نهاريه واقضي الليل في سجن الشقاء
ألاَ مَن يرفع الاغلال عنَّا ويطلقنا سوى رب العلاء
ومن يحو ظلام الجهل يوماً عن المُثال غير الاذكياء
على انَّا رجال لا نبالي ولا نشكو الزمان على القضاء
(نقلنا الصخر عن قنن عوالٍ) على جسر المروءة والاباء
فان عبست بنا في الصبح شمس لنا ابتسمت مصابيحُ المساء

***

دنا الاحد المبارك سيف رفاق مساء السبت وافرا بالقاء
فجئنا في المدينة وهي تزهو كلؤلؤة بنور الكهرباء
فازرى حسنها بالافق لمَّا تألقت الشوارع بالضياء
وزينت القصور بكل نورٍ فاشرق بالسنا وجه السماء
واقبلت الغواني من مغانٍ تسير مع السراةِ الاغنياء
فيا لله ما احلى عقوداً على لبَّات ربَّات البهاء
قدود كالغصون مهفهفات تهادى بين عطف وانثناء

***

ارى هذي المناظر شائقات ولكن لا ارى فيها هنائي

ذروني انَّ عيني قد ارتني بها كفًّا تخضب بالدماء
هي الكف التي اجرت دماه تجبي ذا النضار على رخاء
دعونا نبتغي صرف الحيا نبين كؤسها سلوى البلاء

∴

وميل عن السبيل بنا قليلاً فاشرفنا على روضٍ وماء
وحانوتٍ تعبُّ الراح فيهِ وتشدو النيد فيهِ بالغناء
وندمان دنوا منا ائتاماً ومدّوا نحونا ايديهم السخاء
بكأس اذ اداروها اداروا بها رأسي كدولاب الهواء

∴

اليقوا ياسكارى ربَّ كأس تسوق المال منكم للفناء

بورتلند ن . خ

باب تدبير المنزل

قد قصدنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المسامرة الثالثة

في التسمم بمركبات الفحم

الكربون او الفحم ليس مضرًّا لذاتهِ واما مركباتهُ شديدة الخطر ولاسيما اكسيد الكربون وغاز النور والحامض الكربونيك

اكسيد الكربون

غاز يتولد من احتراق الفحم ويظهر بلهيب ازرق ويدخل الدم بطريق المسالك التنفسية ويتجه فعلهُ بنوع خصوصي الى كريات الدم الحمراء فيفسدها لانهُ يتحد بها اتحاداً قويًّا اقوى واثبت من اتحاد الاكسجين بها فيعزلهُ ويحل محلهُ . وهو سم ذريع لان جزءًا منهُ في الف جزء من الهواء يقتل عصفوراً وجزئين او ثلاثة في الالف تقتل كلبًا

والتسمم به اما سريع ويحدث عرضاً او للانتحار او بطيء ويحدث عرضاً من استنشاق كمية صغيرة منهُ لتنتشر في هواء الغرفة من احتراق الفحم في المناقل او الكوانين المكشوفة التي تستعمل للتدفئة خصوصاً في البلاد الباردة

يظهر فعلهُ اولاً بالم شديد في الرأس وطنين في الاذنين وخدر في الاطراف وغثيان وهذا ما تسميهِ العامة بالتفحيم ويجب عند وقوعهِ ان يبادر الى فتح الشبابيك وتجديد هواء الغرفة وتعريض المصاب للهواء وتنشيقهِ الخل

اذا طالت مدة الاستنشاق ظهرت اعراض ثقيلة وشديدة الخطر وهي الهذيان وضيق الصدر واضطراب التنفس وسرعة ضربات القلب وارتجاف الاطراف والترنح عند المشي ويعقبها فقد الحس والاغماء والموت . وتداوى كما سبق ويدلك جسم المصاب وجلدهُ بمنشفة مبلولة بالماء وتنشيقهِ غاز الاكسجين

فاستعمال الفحم للتدفئة لا يخلو من الضرر او الخطر فيجب منع استعماله في المناقل او الموائد المكشوفة واذا كان لا بد منهُ وجب ان يوقد في وجاقات حتى يصعد الغاز في المداخن الى الهواء خارجاً عن البيت

غاز الانارة

سم قتال ينتشر غالباً من شقوق في المواسير التي يجري فيها او من عدم اقفال حنفية النور جيداً ولهُ رائحة خبيثة تشم اذا وجد في الهواء بنسبة ١ : ١٥٠٠ فتنبّه لاجتنابهِ وظواهرهُ كظواهر اكسيد الكربون وعلاجهُ كذلك

الحامض الكربونيك

غاز لا لون لهُ ولا رائحة يتولد في التنفس الحيواني والنباتي وفي الاختمار الكحولي ومن احتراق المواد الكربونية ويوجد في الهواء بكميات صغيرة اي من ٤ — ٦ اعشار في الالف ويوجد بكثرة في المغاور والكهوف والبراكين الخامدة . يتجه فعلهُ بنوع خصوصي على الجهاز العصبي ويكون سماً اذا خالط هواء التنفس بكمية اكبر من معدلهِ الطبيعي

ويحصل بالتسمم به صداع وطنين واضطراب البصر وضيق صدري شديد وان طالت مدة الاستنشاق فقدت الحساسة وحصل اغماء وموت ويداوى بالهواء النقي وبالضرب بمنشفة مبلولة بالماء وتنشيق غاز الاكسجين

الهواء المحصور

يراد بهِ هواء المساكن وخصوصاً غرف النوم وهواء المحلات العمومية التي لا تراعى فيها

النهوية او لتعذر فيها اقامة المنافذ اللازمة لتجديد الهواء فيفسد فيها ولا يعود صالحاً للتنفس وقد افردنا لهُ فصلاً بعد الكلام على الحامض الكربونيك لما بينهما من العلاقة وبين ظواهرهما من المشابهة ولان الانسان لا ينتبه لهُ ولا يعيرهُ الاهمية الواجبة رغم تعرضهِ لهُ يومياً وتسممهِ بهِ تسمماً بطيئاً يظهر فعلهُ على توالي الايام

لا يخفى ان الاكسجين الموجود في الهواء الذي يتنفسهُ الانسان هو غذاء الكريات الدموية لانهُ يجدد حيويتها التي ضعفت اثناء دورتها في الاوعية وقد اظهر علم الصحة انهُ يلزم لكل شخص في الساعة عشرة امتار مكعبة من الهواء فاذا نقصت قلّت تغذية الكريات وضعفت تغذية الانسجة وانفتحت ابواب الامراض وتمهد السبيل لقصر الحياة . فالتنفس الذي تتوقف عليهِ حياة الانسان يجب ان يكون غذاؤهُ نقياً وخالياً من كل شائبة . اما الهواء المحصور فليس نقياً صالحاً للتنفس ومجدداً لكريات الدم لانهُ يتغير تركيبهُ بما يضاف اليهِ من حاصلات التنفس وتحصل فيهِ التنوعات وهي

١ً تنقص كمية الاكسجين وتزيد كمية الحامض الكربونيك عن المعدل الطبيعي

٢ً تضاف اليهِ موادطيارة حيوانية تصدر من المسالك التنفسية ومن التبخر عن سطح الجلد

٣ً تزيد فيهِ الرطوبة

ولكل من هذه التنوعات دخل في العوارض التي تحصل من استنشاق الهواء المحصور لان زيادة الحامض الكربونيك وحدها لا تكفي للتسمم وقد قلنا آنفاً انهُ يوجد طبيعياً في الهواء بنسبة ٤ الى ٦ اعشار في الالف وهو يوجد في غرف النوم وفي المدارس بنسبة ١ الى ١٠٠ بدون ضرر ولا يصبح سامّاً الاّ اذا كان بنسبة ٢٤ الى ١٠٠ على شرط بقاء كمية الاكسجين واحدة . فعدم صلاحية الهواء المحصور للتنفس لا تتوقف على زيادة الحامض الكربونيك عن معدلهِ الطبيعي بل على نقصان الاكسجين منهُ ومن ثم على وجود المواد الحيوانية الطيارة

تشبه ظواهر التسمم بهِ ظواهر التسمم بالحامض الكربونيك وشدتها تتوقف على مدة الاستنشاق وسعة المكان وعدد الاشخاص المحصورين فيهِ . وربما يتبادر الى الذهن ان في ما ذكر تهويلاً ومبالغة الاّ ان الحوادث اثبتت ذلك فقد حبس ١٤٦ شخصاً في قلعة في كلكتا وحصروا في اوضة مربعة طولها سبعة امتار وعرضها سبعة لا ينفذها الهواء الاّ من شباكين صغيرين يطلان على ممشى فلم تمر عشر دقائق حتى مات منهم ١٢٣ وحصر ٣٠٠ شخص بعد معركة اوسترليتز في قبو فمات منهم ٢٦٠ بعد وقت قصير . ومات نجاة في قاعة محكمة في

اكسفورد عدة قضاة ومتفرجين بعد ان استنشقوا الابخرة التي تصاعدت من اجسام السجناء الذين احضروهم من السجون الفاسدة الهواء

للهواء المحصور رائحة خصوصية هي رائحة الابخرة التي تنبعث من الرئتين والجلد يميزها كل انسان يدخل الى غرفة النوم قبل ان يجدد هواؤها او الى مكان يحتشد فيه خلق كثير كالقهوات التي تنتشر الرائحة منها الى الشوارع . وفي الاختلاف الى الاماكن الفاسدة الهواء تسمم للبنية لا يؤبه له اولاً لخفته وبطوء فعله واعتياد تدريجاً الا ان كثرة التردد وطول مدة الجلوس يعرضان لفقر الدم وانتهاك الاعصاب وكلل الدماغ بحيث ينتبه الانسان حينئذٍ الى انه عجز عن ان يعمل عملاً عقلياً كان سهلاً عليه في السابق

اذا ظهرت اعراض التسمم به تعالج بالوسائط التي ذكرت في علاج التسمم بالغازات

الدكتور امين ابو خاطر

فوائد منزلية

عصير الطماطم يزيل دبوغ الاثمار عن الايدي

الصداع العصبي يزول غالباً بفنجان من الشاي الثقيل اعصر فيه قليل من الليمون الحامض

اذا اضيف قليل من عصير الليمون الحامض الى مطبوخ التفاح جاد طعمه ولم يتغير لونه

اذا وقعت نقط الحبر على ظاهر دواة من الفضة فلطخها اجبل قليلاً من كلوريد الجير (الكلس) بالماء وامسح الدواة به فتزول لطخ الحبر عنها وتظهر بيضاء لامعة

اذا انسخت فرشاة الشعر واردت تنظيفها فلا تنظفها بالماء السخن والصابون لئلا يلين شعرها بل اذب قليلاً من كربونات الصودا في الماء البارد ونظفها به ولا تجففها في الشمس ولا امام النار بل ضعها في الظل حتى تنشف

نفقات الغنيات وفائدة الاسراف

أحصي ما تنفقه بعض النساء الغنيات في مدينة شيكاغو باميركا على ملابسهن وزينتهن فظهر ان كثيرات لا تقل نفقة الواحدة منهن في السنة عن ١٥ الف جنيه وان مئة من النساء المعروفات تبلغ نفقة الواحدة منهن عشرة آلاف جنيه في السنة . وعشرة آلاف

امرأة متوسط ما تنفقهُ كل واحدة منهن ألف جنيه في السنة اي انهنَّ ينفقنَ في السنة على اللباس والزينة عشرة ملايين من الجنيهات

وقد يظهر لاول وهلة ان انفاقهنَّ هذا اسراف مذموم وهو كذلك لو كنَّ فقيرات او لو كانت اموالهنَّ قليلة لا تؤذن بهذا الانفاق ولكنهنَّ لسنَ كذلك واذا لم ينفقن اموالهنَّ على اللبس انفقنها في وجوه اخرى قد لا تكون انفع لنوع الانسان من تشغيل الوف من النساء والبنات في عمل الملابس والوف من العمال في نسجها وبيعها. ولولا اسراف الاغنياء لقضت احوال الاجتماع الحاضرة بتراكم الاموال عندهم وتوقيف دولاب الصناعة وغل ايدي التجارة . نعم لو انفق الاغنياء اموالهم في انشاء الملاجيء للعجزة وتربية اولاد الفقراء وتقليل متاعب الحياة لكان ذلك انفع من انفاقها في اقتناء الملابس الفاخرة وما اشبه من انواع القصوف ولكن الانفع لا يمنع النافع والاحسن لا ينفي الحسن

حق النساء في الانتخاب

اعطي النساء حق الانتخاب في بلاد نروج كالرجال ولكل امرأة يبلغ دخلها ١٦ جنيهاً ونصفاً في الارياف او ٢٢ جنيهاً في المدن صوت في الانتخاب

نصائح صحية للنساء

كتبت احدى السيدات في مجلة من مجلاتهنَّ تقول ان من اهم ما تُعنَى بهِ المرأة صفاء لون وجهها وتشربهُ بالحمرة وخلوهُ من البثور والغضون . والحصول على ذلك كله سهل المنال اذا راعت شروط النظافة باطناً وظاهراً اما النظافة الباطنة فتكون بالاكثار من شرب الماء النقي مع قليل من عصير الليمون من غير سكر صباحاً ومساء . ويحسن بالمرأة ان تشرب كأساً من الماء البارد او الحار في الصباح وكأساً اخرى في المساء وكؤوساً بين الطعام والطعام . ويضاف الى الاكثار من شرب الماء النقي لاجل النظافة الباطنة الاعتماد على الطعام البسيط المغذي الذي لا يتعب المعدة والامعاء ولا يحصل منهُ سوء هضم ولا هو بالكثير فوق الحاجة

اما النظافة الظاهرة فتقوم بالاغتسال بالماء والصابون . ويحسن غسل الوجه بالماء الفاتر بدل الماء البارد ولا بدَّ من تنظيفهِ جيداً من الصابون . ولا يكفي غسلهُ مرة واحدة في اليوم بل يجب غسلهُ جيداً في المساء قبل النوم حتى تتنفَّس مسامهُ كلها ثم يغسل في الصباح بماء فاتر ويحسن ان تضاف اليهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين ويفرك بمنشفة من اسفل الى اعلى

ولا بدَّ لمن تريد ان يبقى وجهها بشوشاً خالياً من التغضن والبثور ان يكون طعامها بسيطاً قليلاً سهل الهضم وان تقيم في الهواء النقي ما امكن وتقلل السهر وتنام نوماً كافياً وتروض جسمها كثيراً . واكثر النساء يأكلن اكثر مما يلزم لهنَّ ويقللن من شرب الماء واستنشاق الهواء النقي

اذا لم يكن للمرأة عمل بدني تعمل به وجب عليها ان تمشي كل يوم نحو ساعة مشياً سريعاً ما امكن في مكان مطلق الهواء نقيّ . ولا يصفو لون الوجه وتحمرُّ وجناتهُ مالم تمتلئ الرئتان هواء نقياً ويسهل ملء الرئتين بالهواء النقي وغسلها بالهواء النقي وذلك بان تفتح المرأة شباك غرفتها وتتنفس الهواء الداخل منهُ كل صباح وكل مساء حتى تمتلئ رئتاها ويتسع صدرها وتكرّر ذلك مرتين او ثلاثاً ثم تزيد عدد المرات حتى تصير نكرارهُ اثني عشرة مرة من غير تعب . وهذا النوع من التمرين ضروري لتنظيف الرئتين وتوسيع الصدر وتطهير الدم ويمكن ممارستهُ كلما كان الهواء نقياً

هدايا دوقة كنوت

بلغت قيمة الهدايا التي اهديت الى دوقة فيف عند اقترانها بالبرنس ارثر كنوت في ١٥ اكتوبر نحو مليون جنيه فقد اهدى اليها خالها ملك الانكليز والملكة زوجتهُ اكليلاً بديع الصنع مرصعاً بانفس حجارة الماس واهدت اليها الملكة الكسندرا عقداً غالي الثمن جداً من اللؤلؤ النفيس . واهدى اليها كل اعضاء العائلة المالكة هدايا كثيرة من الحلى والنفائس . وقد أمّنت هذه الهدايا الآن بمليون جنيه

ولما تزوج الملك بلغت قيمة الهدايا التي اهديت اليهِ نصف مليون جنيه ولقد اتفق اننا زرنا مدينة لندن لما عرضت تلك الهدايا في معرض سوث كنسنتون في صيف سنة ١٨٩٣ فرأيناها ووصفناها في ما كتبناهُ عن مشاهد اوربا في الجزء السادس من المجلد الثامن عشر من المقتطف حيث قلنا

« ومما هو حريٌّ بالذكر ان الهدايا التي أُهديت الى دوق يورك نجل ولي عهد ملكة الانكليز والى زوجتهِ معروضة في هذا المتحف قرب المعرض الهندي وهي شاهد بما للعريس وزوجتهِ من الحب والمكانة في نفوس الامة الانكليزية وملوك الارض وامرائها . والهدايا المعروضة نحو الف وخمس مئة هدية ولقد تكون الهدية منها مهداةً من شخص واحد او من ولاية كبيرة ولقد تكون شيئاً واحداً او اشياء كثيرة . ورأيت بينها الاكاليل والعقود والقلائد

والاساور والخواتم والمراوح والدبابيس والساعات وكلها مرصّع بافخر الجواهر من الماس والياقوت والصفير والزمرّد واللؤلؤ وما اشبه وآنية الطعام والشراب والموائد والكراسي والخزائن والمكاتب والكتب والصور والتماثيل والسروج والمركبات ونحو ذلك ممّا يطول شرحهُ ويتعذّر عليّ وصفهُ وهي من الذهب والفضة والعاج والخزف الصيني والبلور والخشب والحرير والجلد . وكل المعارض والمتاحف التي زرتها حتى الآن كنت ارى فيها الرجال كالنساء او اكثر منهنّ عدًّا اما معرض هذه الهدايا فاكثر زوّاره من النساء فانني دخلتُ الغرفة الموصلة اليهِ حالما فُتح بابها ولم يكن الاّ كلا حولَ ولا حتى رأيتها ازدحمت بينات حواء وليس بينهنّ الاّ نفر قليل من الرجال فشبهتا سراعًا امام هدايا الدوق واكثرها من الاثاث والرياش حتى اذا بلغنا الحلي والجواهر المهداة الى زوجتهِ بطؤ السير جدًّا فغصّ الرواق وكدنا نختنق من الازدحام لان الماشيات امامنا ابين الاّ ان يمعنّ نظرهنّ في كل هدية ويعرفنَ اسم مهديها . ولا ادري ما تفعل العروس بكل هذه الهدايا ولاسيما ما كان منها من نوع واحد فالمراوح اثنتان وعشرون واكثرها مرصع بالماس . والخواتم والاساور والقلائد كثيرة ايضًا وهي من ابدع ما صنعهُ الصاغة واثمن ما رصّع بالحجارة الكريمة ومن ذلك اكليل من الماس اهدتهُ اليها ولاية سري واكليل وعقد وقرطان وعقدتان اهداها اليها ابوها وامها وهي مرصعة بالماس والفيروز . وعقد من الماس واللؤلؤ اهدتهُ اليها ٦٥٠ امرأة من نساء انكلترا . وسوار من الصفير والماس اهداهُ اليها فيصر الروس وزوجتهُ . والظاهر ان لا اعتبار عندهم لثمن المدية لهدايا بعض الملوك بسيطة رخيصة الثمن وهدايا بعض الرعايا الذين لا لقب لهم ثمينة جدًّا . ومن الهدايا القليلة الثمن الكثيرة المعنى هدية من الملكة وولي عهدها وزوجتهِ وهي اناءان صغيران من الفضة ممّا كان السيّاح يحملونهُ في سياحتهم دلالة على ان العروسين غريبان وسائحان في هذه الدنيا . وتكثر الكتب الدينية بين الهدايا ولاسيما التوراة والانجيل والكتب الادبية ولاسيما دواوين الشعراء ومنها يظهر ميل الشعب الانكليزي الى التديّن والى فنون الادب »

هذا ما قالهُ حينئذٍ والظاهر ان الامر الذي انتبهنا لهُ وهو كثرة الهدايا من نوع واحد جعلت الملك والملكة وغيرهما من المهدين يتداولون في ما بينهم ويتفقوا على انواع الهدايا التي يهدونها حتى لا يكون الكثير منها من نوع واحد فجاءت هدايا هذا العرس مختلفة متنوعة

باب الزراعة

زرع القطن المصري في اميركا

اشرنا في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٤ الى التجارب التي جُرّبت في اميركا لزرع القطن المصري فيها وخلاصتها ان القطن الاشموني بلغت غلّة الفدان منهُ هناك نحو اربعة قناطير وثلاثة ارباع القنطار والميت عفيف بلغت غلّة الفدان منهُ اقل من ثلاثة قناطير ونصف . وهذا غاية ما وصلت اليهِ زراعة القطن المصري هناك الى ذلك التاريخ

ولقد اطلعنا الآن في جريدة التيمس على خلاصة ما ذكرهُ المستر كارل شوفيلد في هذا الموضوع في مجمع ناسجي القطن الذي التأم باميركا حديثاً وهو من موظفي مصلحة الزراعة في واشنطون قال :— ان مصلحة زراعة النبات جعلت تمتحن زرع القطن المصري منذ سنة ١٩٠٢ في الاراضي التي تروى رياً صناعياً في ولايتي اريزونا وكليفورنيا حتى اذا كانت سنة ١٩١١ وجدت ان التجارب التي جُرّبت صارت تخوّلها ان تعطي التقاوي للفلاحين حتى يزرعوها في مساحات واسعة فوزعت في ربيع سنة ١٩١٢ التقاوي على ٧٥ من الفلاحين وهي خالية من القطن المندي فزرعها الفلاحون في ٣٥٠ فداناً وقد جنوا من ٤٨٠ فداناً منها ٣٧٥ بالة في كل بالة فيها خمسة قناطير اي ١٨٧٥ قنطاراً فيكون متوسط غلّة الفدان الواحد ثلاثة قناطير وتسعة اعشار القنطار . وكان هذا القطن طويل الشعر جداً يبلغ طول شعرتهِ من بوصة و٣/٤ الى بوصة و١/٤ والمتوسط بوصة و١/٣٢ ويبلغ ثمن القنطار المحلوج ٢١ ريالاً

وقد حسب المستر شوفيلد ان ثمن التقاوي واجرة الزرع والعزق والري ١٥ ريالاً للفدان واجرة الجمع اذا بلغ محصولهُ نحو ستة قناطير ٣٦ ريالاً واجرة الحلج والحزم والوضع في البالات ١٠ ريالات

والذي يهمنا من ذلك كلهِ ان الاراضي التي تروى صناعاً بالصناعة في اميركا كما تروى اراضي القطر المصري يمكن زرع القطن المصري فيها ويبلغ محصول الفدان منها اربعة قناطير من القطن الشعر وان اجرة الحرث والزرع والخدمة وثمن التقاوي ١٥ ريالاً واجرة الجمع اذا كان المحصول ستة قناطير ٣٦ ريالاً فاذا كان اربعة قناطير ٢٤ ريالاً والجملة ٣٩ ريالاً او نحو ثمانية جنيهات فاذا بلغ المحصول اربعة قناطير وبيعت بستة عشر جنيهاً بقي

منها لمالك ثمانية جنيهات وهي ربح وافر جداً حيث الاطيان رخيصة الثمن وليس عليها ضريبة تذكر

ثم ان الولايات المتحدة الاميركية اخذت من القطن المصري من الموسم الماضي ٩٦٤٠٠٠ قنطاراً او نحو ثمن الموسم المصري وهي لو زرعت القطن المصري في بلادها وارادت ان تستغل منهُ نحو مليون قنطار لتستغني عن القطن المصري للزمها ان تزرعهُ في ٢٥٠ الف فدان كل سنة اي يجب ان يكون عندها ٧٥٠ الف فدان تروى رياً صناعياً صيفاً ولا تعتمد على المطر حتى تستطيع ان تزرع ٢٥٠ الف فدان وتستغني بمحصولها عما تأخذهُ من القطن المصري. ومتى تمكنت من انشاء الري الصيفي لسبع مئة وخمسين الف فدان تكون المقطوعية على القطن المصري قد زادت عشرين في المئة او اكثر من ذلك لاسيما وان الامم التي تكتفي الآن بالبضائع الخفيفة التي تصلح لها الانواع الدنيئة من القطن يزداد طلبها سنة بعد سنة للبضائع الدقيقة التي تحتاج الى القطن الجيد ولذلك لا ترى وجهاً للخوف من زرع اميركا للقطن المصري ومناظرة هذا القطر به

السماد الاخضر

يراد بالسماد الاخضر زرع الارض زراعة سريعة النمو ثم حرثها حتى تنقلب ويمتزج النبات الاخضر بترابها ويتحلل فيهِ فيفيدهُ كسماد ويفيدهُ ايضاً كواسطة ميكانيكية يفصلهِ وهو واسطة مفيدة حيث تكون المواد الآلية او النباتية قليلة في الارض. اما كون هذه الطريقة من قبيل التسميد للارض فسببهُ ان النبات يأخذ جانباً كبيراً من غذائهِ من الهواء فقلبنا لهُ في الارض بمثابة اخذ هذه المواد المغذية من الهواء واضافتها الى التراب

وافضل المزروعات التي تصلح لذلك الفول والبرسيم والترمس فانها كلها من النباتات التي تأخذ كثيراً من غذائها من الهواء ولا بدَّ من قلبها في الارض وهي صغيرة قبلما يتكون الحب فيها

اخبرنا احد كبار المزارعين انهُ يزرع الارض برسيماً حتى اذا بلغ ارتفاعهُ فيها نحو شبرين حرثها ورواها فينحل البرسيم فيها. او جعل المواشي ترعاهُ رعية واحدة وتركهُ حتى ينمو ثانية ثم حرثها وخدمها لزرع القطن وعندهُ ان حرث الارض كذلك والبرسيم فيها يزيد غلة الفدان نحو قنطارين من القطن

الغذاء في انواع العلف

علف المواشي مثل طعام الناس يجب ان يحوي المواد التي يتكون منها جسم الحيوان اي

لحمهُ وعظمهُ ودهنهُ واعصابهُ وشعرهُ وما اشبه وتتولد منها القوة التي تبديها المواشي في مشيها وحركاتها المختلفة وجرها للحراث والنورج وما اشبه

ويكون في العلف مائ ومواد مغذية وهي البروتين او المواد التي يتكون اللحم منها . وكربوهيدرات او المواد التي تتولد منها القوة والحرارة . ودهن وهو المواد التي يتكون منها الدهن و بعض القوة . والياف ومنها فائدة في تسهيل الهضم ولو لم يكن منها فائدة في التغذية لانها قلما تؤكل

وتختلف كميات هذه المواد باختلاف انواع العلف وتختلف فائدتها باختلاف ما يهضم منها كما ترى في هذا الجدول وهي الحيوانات المجترة كالبقر والغنم

	المواد الجامدة	بروتين	كربوهيدرات	دهن
نخالة القمح (رضة)	٨٨٫١	١٢٫٣	٣٩٫٢	٣٫٧
الشعير	٨٩٫١	٨٫٧	٦٥٫٦	١٫٦
بزرة القطن	٨٩٫٧	١٢٫٥	٣٠٫٠	١٧٫٣
كسب بزرة القطن	٩١٫٨	٣٧٫٢	١٦٫٩	٢٣٫٢
القصيل	٢١٫٠	١٫٩	١٠٫٣	٠٫٤
تبن القمح	٩٠٫٤	٠٫٤	٣٦٫٣	١٫٧
« الشعير	٨٥٫٤	٠٫٧	٤١٫٢	٠٫٦
البرسيم	١٩٫٠	٢٫٤	٩٫٠	٠٫٥
البرسيم الحجازي	٢٨٫٢	٣٫٩	١٣٫٧	٠٫٥
دريس البرسيم	٩٠٫٣	٨٫٤	٤٢٫٥	١٫٥
دريس البرسيم الحجازي	٩١٫٦	١١٫٠	٣٩٫٦	١٫٢

وهذا الجدول تقريبي لان مقدار الغذاء يختلف باختلاف صنف النبات وعمره اذا كان اخضر والمواشي تختلف كثيراً في قوة هضمها للعلف فالمجترات كالغنم والبقر اقدر على الهضم من الخيل والبغال

زراعة التبغ في القطر المصري

يظهر لنا ان الحكومة غير عازمة على اباحة زرع التبغ (الدخان) في القطر المصري . وان كانت قد امتحنت زراعتهُ فوجدت ان نموهُ لا يأتي جيداً كالتبغ التركي حتى يغني عنهُ

و يتيسَّر اصدارهُ الى البلدان الاخرى فلا فائدة من اباحة زرعهِ بل منها ضرر على خزينة الحكومة وليس منها اقل فائدة للقطر لانهُ ما الفائدة من زرع تبغ لا يدخنهُ الناس ولا تأكلهُ المواشي ولا يصلح لشيء آخر

لكننا نظن انهُ اذا أُتي بالبذار (التفاوي) من بلاد الترك او بلاد اليونان حيث يزرع التبغ الجيد الطيب الرائحة وزرع في القطر المصري في جهات يكثر القيم فيها ولا يشتد الحر كالجهات البحرية من الدقهلية والغربية والبحيرة فلا يبعد ان يأتي التبغ جيداً كالتبغ التركي واذا لم تصح التجارب بالتبغ التركي فليؤتَ بتفاوي من تبغ صومترا فانهُ جيد غالي الثمن وكان الاميركيون يجلبون منهُ كل سنة مائتهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات فزرعوهُ في اودية فلوريدا فجاء مثل احسن تبغ صومترا وعُرض في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فلم يظهر فرق بينهُ وبين تبغ صومترا الجيد ونال الامتياز الذي نالهُ التبغ التركي. نعم ان التبغ التركي كان اجود منهُ رائحة ولكنهُ امتاز على التبغ التركي بكبر ورقهِ الصالح للف السيكار ونفقات زرعهِ اقل من نفقات زرع التبغ التركي

السكك الزراعية

قلَّ اهتمام الحكومة المصرية بالسكك الزراعية مع انها من الزم اللوازم لنجاح الزراعة وتقليل نفقات النقل . والسكك التي انشأتها في السنين الماضية تحفَّرت فتزى غبارها يعمي الابصار ولا تسير العربات عليها الاَّ بالتعب الشديد فان الدابة التي تستطيع ان تجر عربة عليها ما ثقلهُ عشرون قنطاراً اذا كانت الطريق ممهَّدة مرصوصة وتجري بها بسرعة لا تستطيع جر عربة عليها عشرة قناطير الاَّ ببطء وبشق النفس اذا كانت الطريق محفرَّة . والخسارة التي تخسرها دواب الحمل والجرّ من قوَّتها كل سنة والتي يخسرها اصحابها من وقتهم تزيد على ما يلزم لترميم السكك الزراعية كلها

ومن المقرر ان بعض المديريات تضرب ضريبة على الفدان ثلاثة غروش في السنة لاجل السكك الزراعية فاذا كانت هذه الضريبة شاملة للقطر كلهِ بلغت كل سنة نحو ١٨٠ الف جنيه واذا لزم ترميم السكك مرة كل خمس سنوات فهذا المبلغ كافٍ لترميم خُمس سكك القطر ولعمل سكك جديدة حيث لا سكك تستحق الذكر واذا اضافت اليهِ الحكومة مئة الف جنيه من ميزانيتها السنوية او مئتي الف جنيه فهي الرابحة لان اصلاح السكك رأس مال كبير الربح بما يتوفر بها من القوة والوقت

زرع القمح

ابتدأ زرع القمح في القطر المصري وزراعتهُ قديمة فيهِ كانت معروفة من زمن المصريين الاقدمين ولكن الزراع يختلفون في القائها حتى الآن اختلافاً كبيراً فتجد فلاحاً يستغلُّ من الفدان ثمانية ارادب او أكثر وجارهُ لا يستغلُّ منهُ الاَّ ثلاثة ارادب او اربعة مع ان الارض واحدة . نعم ان الارض التي فيها شيءٌ من الملح لا تصلح لزرع القمح بل تصلح لزرع الشعير ولكن الارض الحلوة التي لا ملح فيها لا يأتي قمحها بمحصول وافر ما لم تحرث جيداً وتزحف وتسمد وتروى في اوقات الري اللازمة

والقمح الذي يزرع في القطر المصري صنفان بلدي وهندي والبلدي ابيض واحمر والهندي ابيض كلهُ ولكنهُ اختلط الآن بالقمح البلدي وقلما يوجد صرفاً

واذا زرع القمح في احياض الصعيد التي تروى وقت الفيضان فقط وهو القمح الاحمر او الصعيدي يذر على الارض بعد انصراف الماء عنها من غير حرث او تترك الارض حتى تجف قليلاً ويذر القمح فيها وتحرث حتى تغطى البزور بالتراب ولا تروى بعد ذلك فتأتي بمحصول غير قليل

اما الاطيان التي تروى بالترع بالراحة او بواسطة الآلات فتحرث اولاً وتزحف ثم يذر القمح فيها وتحرث ثانية وتزحف والطريقة الثانية افضل من الاولى ويحسن ان تروى قبل بذر القمح فيها او تروى بعد بذره

ومقدار النقاوي اللازمة للفدان ٦ كيلات الى ٨ فاذا كانت الارض بوراً كفاها ٦ كيلات واذا كانت مزروعة قطناً لزم لها ٨ كيلات

والقمح المزروع في الطيناش لا سبيل لريه فيغمر ويجود من غير ري واما المزروع في سائر اطيان القطر فيروى مرتين وكثرة الماء تزيد التبن لا الحب

وتسميد القمح يزيد المحصول فاذا وجد السباخ البلدي سمد بهِ القمح حين زرعهِ او الافضل ان يترك السباخ البلدي فتقطن ويسمد القمح بالسباخ الكفري او بالسماد الكيماوي ويحتاج الفدان الى ثلاثين حملاً من السباخ الكفري عند الرية الاولى . اما السماد الكيماوي فالمستعمل منهُ نترات الصودا او نترات الجير . ويحتاج الفدان من ٥٠ الى مئة كيلو من النترات تذر على الارض عند الرية الاولى حينما يبلغ ارتفاع النبات عشرين سنتيمتراً . واذا كانت النترات ١٠٠ كيلو فالاحسن ان يسمد بنصفها عند الرية الاولى وبالنصف الثاني عند الرية الثانية

ولا بدَّ من دق النترات حتى تنعم جيداً وتمزج بمضاعفها من التراب الناعم مزجاً جيداً لكي يسهل توزيعها على الارض ولا يقع كثير منها في بقعة وقليل منها في بقعة اخرى ويبذر السماد بذراً باليد كما يبذر القمح

وقد جربنا سيانااميد الجير وهو مسحوق اسود ناعم جدًّا فافاد مثل نيترات الصودا ونحن نرجح انهُ افيد من نيترات الصودا في القطر المصري لان اطيانهُ مفتقرة الى الجير في الغالب . ولا حاجة الى دقهِ لانهُ ناعم جدًّا فيمزج بالتراب الناعم ويذر في يوم لا ريح فيهِ ومن المحتمل ان لونهُ الاسود يفيد الزراعة ايضاً لان الارض السوداء اللون اشد امتصاصاً لحرارة الشمس حتى لقد يفيد غبار الفحم في الارض مع انهُ لا يحل ولا فائدة غذائية منهُ

وينضج القمح ويصير معدًّا للحصاد في نحو ستة اشهر ويستطيع الرجل الواحد ان يحصد (يقصم) خمس فدان في اليوم وافضل الاوقات لقصم القمح الليل والصباح . وتبلغ غلَّة الفدان في حياض الصعيد اربعة ارادب الى خمسة من الحب وثلاثة احمال من التبن . وفي الاطيان التي تروى بالنزح نحو ستة ارادب من الحب وخمسة احمال او ستة من التبن واذا سمدت الارض جيداً فقد يبلغ محصولها ثمانية ارادب او تسعة

ويصاب القمح بمرض فطري فترى السنبلة قد اسودت وزالت مادة حبها وامتلأ دقيقاً اسود ناعماً جدًّا ولا يندر ان ترى عشر سنابل او اكثر في بقعة صغيرة وقد ضربت كلها واسودت على هذه الصورة . وهذا الدقيق الاسود يزور للرض يلصق بعضها بالقمح السليم ثم يتكاثر حينما يزرع القمح ويغو ويسبل ويمكن تطهير القمح منهُ برضعهِ قبل بذرهِ سبع اكياس تغطس في ماء سخن حرارتهُ ١٣٣ درجة بميزان فارنهيت او ٥٦ درجة بميزان سنتغراد فتموت بزور المرض ويسلم القمح منهُ

ويحفظ القمح من السوس بتبييض المخازن بالجير وتبخير القمح ببخار بي كبريتيد الكربون Carbon disulphide وذلك بان توضع زجاجة كبريتيد الكربون هذا في اعلى عرمة القمح وتزال سدادتها وتغطى هي والعرمة باكياس الجنفيص او نحوها فيتخلل بخار كبريتيد الكربون القمح ويميت السوس وبزورهُ ثم يكشف القمح للهواء فتزول منهُ رائحة الكبريتيد . واذا كان القمح موضوعاً في مخزن تسد كل كواهُ جيداً ويوضع كبريتيد الكربون في اناء فيهِ ويغلق بابهُ وتسد كل خروقهِ . وبخار كبريتيد الكربون سريع الالتهاب فلا يجوز ان يقترب منهُ تنديل او شمعة مشتعلة او نحو ذلك على الاطلاق . واذا كان القمح للبذار فيكفي لحفظهِ من السوس مزجهُ بالرماد او التراب الناعم . واكثر ما تقدم ملخص من كتاب الزراعة المصرية

باب التقريظ والانتقاد

الكتب التي تهدى

لا ادلّ على اذواق المؤلفين واحترامهم لما يقال عنهم في الجرائد والمجلات من الشكل الذي يهدون به كتبهم الى محرريها فقد يأتينا الكتاب مجلداً مذهباً تشتهي ان تطالعهُ وتضعهُ في مكتبك وقد يأتينا مجلداً تجليداً سخيفاً كانهُ من سقط المتاع او كراريس محبوكة مقصوصة او غير مقصوصة : او كراريس لم يتنازل صاحبها او طابعها الى حبكها . وكثيراً ما نلقي كتاباً مثل هذا في سلة المهملات من غير ان نفتحهُ لان من يخل على صاحب المجلة بخمسة غروش يدفعها اجرة تجليد كتابهِ لا يستحق ان نُعنى بهِ

والذين يرسلون الينا الكتب المجلدة تجليداً متقناً جدّاهم الاوربيون وبعض الوطنيين الذين يحسبون ان كتبهم تستحق التجليد المتقن . ومما يؤسف عليهِ ان بعض الكتب التي يزدريها اصحابها هي من الكتب النفيسة فتؤخذ بجريرة ظاهرها . فعلى هؤلاء ان يزيدوا اعتناء بشار عقولهم ونفثات اقلامهم ولا يعرضوها لانظار منتقديها الاّ بحلل تليق بها . ومهما بلغت اجرة تجليد الكتاب فالاعلان عنهُ في المجلة يزيد عليها من باب تجاري

التراخوما[1]

واختلاطاتها في القطر المصري

تأليف الدكتور مكلان مدير مستشفيات الرمد المصرية

كتاب صغير الحجم كبير الفائدة يدلّ على علم واسع وبحث دقيق . قال المؤلف في مقدمتهِ ان عدد الذين عولجوا في مستشفيات الرمد المصرية في العام الماضي بلغ ٢٨٠٢٩ وانهُ عملت فيهم واحد وعشرون الفاً وثلثمئة وخمس عشرة عملية وان ٦٠٠٠ مصاب بالشعرة صرفوا من غير ان تعمل لم عملية لان الاطباء كانوا مشغولين دائماً لا وقت لم لعملها

وقال في الفصل الاول انهُ يظهر من الدروج المصرية القديمة التي اكتشفها ايبرس وبيند

(1) Trachoma and its complications in Egypt, by Dr. H. A. F. MacCallan director of ophthalmic Hospitals, Egypt. Cambridge University Press.

تاريخها الى ٣٥٠٠ سنة قبل المسيح ان الرمد الصديدي والتراخوما كانا معروفين في القطر المصري من ذلك العهد ومنتشرين فيهِ. واكتفى من الكلام على طب العيون عند اليونان بان ابقراط ذكر الشعرة والذين يطالعون المقالة المسهبة المنشورة في مقتطفات شهر مارس الماضي يجدون فيها ان ابقراط ذكر نحو ثلاثين مرضاً من امراض العيون كالارماد واورام الغدد الدمعية والخراج والظفرة والشعرة الداخلة والشعرة الخارجة وما اشبه وقسم امراض المقحمة او الارماد الى جافة ورطبة. ثم ذكر المؤلف سلس الطبيب الروماني الذي نشأ سنة ١٤ للميلاد وقال انهُ وصف الرمد الصلب. وقد جاء في المقتطف انهُ وصف الرمد الرطب والرمد الجاف والرمد الحبيبي والرمد البثري والرمد الصلب الذي يسبب الشعرة واتبع المعالجة البقراطية وذكر دمل القرنية وقال انهُ يسبب قرحة قذرة مجوفة مزمنة ويترك ندبة في العين ويولد احياناً البزور العنبي ووصف الجروح التي تصيب العين ووصف التهاب اطراف الاجفان وجربها والشعيرة والاكياس الدهنية والتصاق الاجفان الخ وهو اول من وصف جراحة العين وصفاً علمياً

ثم انتقل المؤلف الى طب العيون عند العرب وقال انهم وصفوا التراخوما وسموهُ جرب المقحمة وافضل كتاب كتبوهُ في طب العيون في مصر كتاب عمر الوصلي سنة ١٠٠٠ للميلاد واشار الشاذلي في القرن الثالث عشر الى كثرة امراض العيون في مصر واشار اليهِ ايضاً الزيبي مشولام بن ساحيم في القرن الخامس عشر. واتجهت الانظار الى كثرة الرمد الصديدي في مصر في زمن الحملة الفرنسوية سنة ١٧٩٨ — ١٨٠٢ اذ أصيب بهِ كثيرون من الجنود الفرنسوية والانكليزية

وانتقل المؤلف من البحث التاريخي القديم الى الذين بحثوا في التراخوما والرمد الصديدي حديثاً مثل كوخ وملر ولكج وميروف والى بحثهِ هو وقد قسم التراخوما الى اربعة اقسام او درجات وتكلم عن اختلاطاتها والميكروبات التي تسببها وطرق علاجها

وحبذا لو اعتنى بترجمة هذا الكتاب الى العربية ليستفيد منهُ اطباء العيون الذين لا يعرفون الانكليزية

حساب المثلثات المستوية

تأليف محمد افندي خالد حسنين مساعد مفتش بنظارة المعارف

كلما رأينا كتاباً علمياً في هذا القطر وددنا لو وُجدت المصطلحات العلمية المتبعة في مصر والشام

في الرياضيات والطبيعيات كما هي موحدة في الصرف والنحو والبيان والبديع والعروض والعلوم الشرعية. فكلمة جيب التمام في الاصطلاح المصري تقابل نظيرتها الجيب والعلامة جتا تقابل نج وكلة ظل تقابل كلمة تماس . وحبذا لو رجع الفريقان الى كتب العرب ومصطلحات العرب فانهم ترجموا كتب الهندسة والمثلثات المستوية والكروية وقطوع المخروط والفلك من اليونانية والفوا في هذه العلوم كتباً ممتعة ولا يزال بعضها بين ايدينا وطبع بعضها في اوربا طبعاً متقناً. فمصطلحاتهم اولى بالاتباع ولو من باب الاحتفاظ بميراث الاجداد . وما لا نجد لهُ اصطلاحاً قديماً تتفق على ترجمة الاصطلاح الاوربي بما يقرب من معناهُ حتى تكون الكتب العلمية واحدة في مصطلحاتها في كل البلدان العربية تسهيلاً لطالبي العلم ومنعاً لبس باستعمال مصطلحات مختلفة . ومن الغريب ان حضرة المؤلف وقع في ما نطلب الابتعاد عنهُ فقال في اول الكتاب في الكلام على الرموز المستعملة في الكتاب ان ظا رمز على الظل ثم سمّى الظل في باطن الكتاب تماساً حسب اصطلاح الكتب السورية كما ترى في الصفحة ٣٣

والكتاب جامع لقواعد المثلثات المستوية وفيهِ كثير من التمارين النظرية وبعض التمارين العملية وحبذا لو زيدت تمارينهُ العملية وطُبّقت على مساحة الاراضي لان اخص فائدة علم المثلثات في القطر المصري في استعمالهِ لمساحة الاطيان

العلاج الجراحي

الجزء الثاني

تأليف وليم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد بك

طبيب مستشفى قليوب

الدكتور عبد الحميد بك مترجم هذا الكتاب حريٌّ بكل مدح واكرام لانهُ جعل دأبهُ التفتيش عن الكتب الطبية الحديثة وترجمتها الى العربية وطبعها ونشرها فيها موضحة بالرسوم . وهذا الجزء كالجزء الاول في بسطهِ ووضوحهِ يبتدئ بالكلام على الامراض العفنة كالحمرة والتتانوس (الكزاز) فالكلب فالجمرة الخبيثة فالسيلان فالزهري فالتدرّن فالسراجة فالجذام . ويتلوهُ الكلام على الاورام والاكياس والكلام على الجروح . والبحث في اوصاف هذه الامراض وعلاجها يصل الى احدث ما وصل اليهِ علم الطب في السنتين الاخيرتين . وحبذا لو ذكرت الامراض والعقاقير كلها باسمائها وحروفها الافرنجية مع ذكرها باسمائها وحروفها العربية

محاسن الطبيعة وعجائب الكون

هذا الكتاب من مؤلفات لورد افبري وقد عربهُ حضرة وديع افندي البستاني كما عرّب غيرهُ من كتب المؤلف وتوخّى في جميعها الجري على منهاج المؤلف الشعري بافراغ الكلام في قوالب الاستعارات وصوغهِ موشّى بشذور البديع

جزيرة الذهب

معربة عن الالمانية بقلم السيدة ماري ابرهيم نجار

قالت المترجمة الفاضلة في التمهيد الذي وضعتهُ لهذه الرواية انها اظهرت مطامع الناس بالمال وفتك الناس باخوانهم في بلاد الروس فان نفعت الناس بتوجيه افكارهم الى انسانية ارفع واعلى من التي نحن فيها ولقيت قبول القراء حمدت الله وشكرت . والرواية مطبوعة طبعاً حسناً في نيويورك على نفقة جريدة الهدى الغراء

حنة كارينيا

تأليف الفيلسوف تلستوي وتعريب مكين افندي عفيفي البغدادي

يقول كاتبو حياة تلستوي ان رواية حنة كارينيا ابلغ رواياتهِ كلها . وعسى ان يكون المعرب قد احتفظ بمعاني المؤلف وجرى مجراهُ في التعبير عنها فالبسها مطارف العربية الفصحى . وحبذا لو طبعت على ورق اجود من الورق الذي طبعت عليهِ

الخلق

كتاب ادبي الفهُ حضرة حسين افندي فتوح جعل مباحثهُ في النفس والعقل والاخلاق والعوامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها وماهية الفضيلة وانواعها وحدودها والرذيلة ونشأتها واقسامها ووراثتها . واكثر فصول الكتاب بحث مجرّد يعسر ادراكهُ ولكن فيهِ امثلة وشواهد واقتباسات كثيرة توضح المراد وقد احسن المؤلف في حسبانهِ الاخلاق الفاضلة اساس ارتقاء الامم والاخلاق السافلة اساس انحطاطها

ضحية الواجب

رواية ذات ستة فصول اخلاقية عائلية بقلم توفيق افندي سعيد الرافعي وقد قيل فيها ان حوادثها وقعت في اواخر سنة ١٩٠٥ واوائل سنة ١٩٠٦ في مدينة باريس ولا يزال

بعض الذين اصابتهم النكبة موجوداً حتى اليوم . والظاهر من مقدمة هذه الرواية ان ناسج بردها لم يترجمها ترجمة بل بناها على قصة اتصل خبرها به فان كان الامر كذلك فحبذا لو اختار لها اسماء مألوفة عندنا ولو كانت فرنسوية بدل فرجوس وسورتير وكومير

مجلة العلوم الاجتماعية

تبحث في الحقوق والاقتصاد والاجتماع لحضرة منشئها توفيق افندي الناطور ومدير تحريرها محمد افندي منيب الناطور

في الجزء الاول الذي صدر من هذه المجلة مقدمة في بيان غرضها والمراد بالعلوم الاجتماعية ومقالات في تقسيم علم الحقوق . وتاريخ المحاماة . والملك اساس المعاملات . والجرائم . والاشتراكية والاشتراكيون . ونبذ مختلفة . ومما جاء في مقالة الاشتراكية ان عدد الحزب الاشتراكي كان سنة ١٩٠٧ في ممالك اوربا واميركا على ما ترى في الجدول التالي

	احصاء عن سنة	صوت		احصاء عن سنة	صوت
فرنسا	١٩٠٧	١١٠٦٤٧٠	نروج	١٩٠٧	٩٠٠٠٠
المانيا	»	١٠٤١٩٨٤	هولاندة	»	٨٢٠٠٠
انكلترا	»	٥٠٥٦٩٠	اسوج	»	٧٥٠٠٠
بلجيكا	»	٤٨٣٢٤٠	اسبانيا	»	٤٠٠٠٠
ايطاليا	»	٣٣٨٨٨٥	بلغاريا	»	١٣٣٦٠
فنلاندا	»	٣١٦٩٥١	صربيا	»	٣٠٥٦
سويسرا	»	١٠٠٠٠٠	الولايات المتحدة	»	٤٣٤٤٨٣
دانمارقه	»	٩٨٠٠٠	الارجنتين	»	٥٠٠٠

وجاء في البلد المشورة فيها ان محصول الحرير في السنة الماضية كان في سورية ٥٠٠٠٠٠٠ كيلو غرام وفي الاناضول ٤٥٠٠٠٠٠ كيلو غرام وفي البلقان ٢٦٠٠٠٠٠ كيلو غرام وفي القوقاس وتركستان وايران نحو ٩٠٠٠٠٠٠ كيلو غرام . واشارت الى القرض الذي عقدته الحكومة العثمانية في باريس حديثاً وقالت « ان ينفق هو وامثاله على الجماعات لا الافراد وفي سبيل الاصلاح الحقيقي لا الترفيع الاداري » . فعسى ان يجاب تمنيها وان تخدم الوطن خدمة جليلة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّرهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) كلمة الامة والخروج منها

دمشق . عبد الفتاح افندي السكري الركابي . جرت مناقشة بيني وبين صديق لي في مسألة النظام الذي يحفظ كلمة الامة او الجمعيات وهو ما يسمونهُ (بالوحدة) ولا يخفى عليكم ان للوحدة قانوناً صارماً يعاقب كل من يخرق حرمتهُ اشد العقاب فوحدة المسلمين مثلاً كلمة التوحيد وكل من ينشق عنها يكون انشقاقهُ بمثابة خروجهِ عن تلك الوحدة التي هي السبب الوحيد في حفظ نظام الامة واتفاق كلمتها وتأليف قلوبها او كالقانون الموضوع في الجمعية الماسونية فان كل من دخل في سلكها ثم عنّ لهُ الخروج منها لا بد لهُ من ملاقاة عقاب صارم لان خروجهُ يُعدّ خللاً بوحدتها واتحاد كلمتها او القانون الموضوع لمن ينشقّ عن الوحدة الالمانية الذي الّف بين قلوب ابنائها . فهل ترون هذا القانون الموضوع لحفظ الوحدة منافياً للعقول الصحيحة والاحوال الاجتماعية وهل هو ضروري لحفظ الامة من التفريق الذي يميت الامم او الجمعيات . وقد اكّد لي بعضهم ان الجمعية الماسونية ما استقام امرها وطال عهدها الاّ بمراعاة قانون صارم يجازي كل من ينشق عنها فالمرجو سرعة الجواب مفصلاً ليتوضح الصبح لذي عينين

ج . ينطوي سؤالكم على ثلاثة امور الاول قولكم ان من يخرج من الجمعية الماسونية بعد انتظامهِ فيها يعاقب عقاباً صارماً بموجب قانونها لان خروجهُ يعدّ خللاً بوحدتها . فهذا غير صحيح ويستطيع كل عضو من اعضائها ان يتركها متى اراد من غير عقاب او حساب ونحن نعرف بعض الذين خرجوا منها وقذفوها ولم تعاقبهم ولا لامتهم وليس في قانونها ما يوجب معاقبة من يخرج منها . والامر الثاني كون القانون القاضي بعقاب من يخرج عن وحدة ما منافياً للعقول الصحيحة والاحوال الاجتماعية او غير منافٍ لها . اما العقول فلا دخل لها في ذلك واما الاحوال الاجتماعية او نواميس الاجتماع فمفادها ان مصلحة الجامعة مقدمة على مصلحة الفرد والفرد يستفيد مجتمعاً مع غيرهِ اكثر مما يستفيد

منفرداً فوجود قانون مثل هذا يكون في مصلحة الفرد بنوع عام فاذا وجد في جماعة افادها اكثر مما يضرُّ بعض افرادها

والامر الثالث كون هذا القانون ضرورياً او غير ضروري . ويظهر لنا انهُ ليس من الضروريات لحفظ الامم من التفرق لان لحفظ الامم اسباباً اخرى طبيعية اقوى من القوانين الوضعية مثل الاشتراك في المصلحة ومثل العادة التي تجعل الانسان يبقى مضموماً الى جماعة ولو ثبت لهُ ان الخروج منها اصلح لهُ

اما ما اكدهُ لكم بعضهم عن الجمعية الماسونية فغير صحيح لانها لا تجازي احداً بشيءٍ عنها والاتفاق مستقر بين اعضائها وهي لم تثبت الى الآن مع ما اتيت من الاضطهاد الاَّ لان غايتها حميدة ولان اعضاءها يعلمون ان كل ما تُرجَم بهِ زور وبهتان وصاحب البيت ادرى بالذي فيهِ . ولولا ذلك ما رأينا اكثر اعضائها من الملوك والعلماء والادباء وكل المرتقين من طوائف الناس ولا يذمها الاَّ الذين يجهلونها

(٢) استحضار الارواح

ومنهُ . ما تقولون في مسألة استحضار الارواح فقد وقفت على كثير من اقوال الغربيين الذين يثبتون قضية الاستحضار ويؤكد بعضهم ان هذا الاكتشاف العلمي قد عمل انقلاباً كبيراً في الافكار فعسى ان تجيبوني عن حقيقة هذا الاكتشاف وهل اتفقت على صحتهِ العلماء واذا كان الامر كذلك هل يؤثر هذا الاكتشاف في المتحدين ويهدم براهينهم التي يتوكأون عليها او ليس لهذا الاكتشاف علاقة بالذين ينكرون الاله

ج . الكلام كثير في هذا الموضوع ولكن كل الذين ادعوا استحضار الارواح اما انهم خادعون وقد ثبت خداعهم او انهم لم يستطيعوا ان يقنعوا اكثر ذوي العقول السليمة بصدق دعواهم . والذين اقتنعوا بها وهم معدودون من ذوي العقول السليمة مثل السر وليم كروكس والسر اوليفر لدج اطلعنا على الحوادث التي اقنعتهم فلم تقنعنا ولا اقنعت اكثر الذين اطلعوا عليها غيرنا . وقد حكمنا غير مرة بفساد اعمال اقتنع بعض العلماء الذين رأوها بصحتها وقالوا انهم بحثوا فيها بحثاً مدققاً . ثم ظهر صدق حكمنا وفساد حكمهم ولا سيما في امر اسايا بلادينو فقد قلنا في مقتطف دسمبر سنة ١٩٠٩ « ان كل الحوادث الدالة على مناجاة الارواح ليس فيها دليل قاطع على انها خالية من الخداع ومتى احتمل وقوع الخداع في عمل بطل الاستدلال بهِ وضعفت الثقة بعاملهِ » . وبعد ان وصفنا اعمال اسايا بلادينو كما شاهدتها لجنة العلماء التي عينت لذلك ورجحنا انها كلها من قبيل الخداع ذهبت اسايا الى اميركا وامتحنتها هناك لجنة من العلماء واحتالت عليها حتى كشفت خداعها . واذا ثبتت مناجاة الارواح ثبوتاً علمياً ينفي

كل ريب وأطلع الاموات الاحياء على ما شاهدوه في عالم الارواح لم يبق سبيل للشك في ما يطلعونهم عليه

(٣) كتب زراعية عربية

ومنه هل للمدرسة الزراعية العربية التي في القاهرة كتب زراعية عربية مفيدة بحيث تغني الطلاب عن الكتب الافرنجية وارجوكم ان تعلموني عن اسمائها ولكم الشكر

ج نعم وقد الفت كتاباً بالانكليزية في مجلدين كبيرين وترجم الى العربية وهو في مبادىء الزراعة بنوع عام والزراعة المصرية بنوع خاص واسمه الزراعة المصرية

(٤) ضرر السهر

ومنه . هل من ضرر صحي على الذين يواظبون على السهر اكثر الليل وينامون في النهار وما هي ماهية الضرر الذي يصيبهم وهل من منفعة للذين يستيقظون دائماً قبل طلوع الشمس

ج . من الامور المقررة ان نور الشمس يميت الميكروبات المرضية بسرعة فاذا وقعت هذه الميكروبات على جسم انسان او على جروح في بدنه وكانت معيشته تقضي باحتجابه عن نور الشمس اكثر النهار او النهار كله كان الخطر من نموها فيه وايقاعها الضرر به اكثر مما لو كان معرضاً لنور الشمس . والنور فعل كيماوي ايضاً وفعله ظاهر في الوان الذين يتعرضون لنور الشمس والذين لا يتعرضون له او يقل تعرضهم له . ولكن هل هذا الفعل مفيد للصحة او غير مفيد وما مقدار فائدته ان كان مفيداً هذه امور لم تحقق حتى الآن ولا الذين يكثر نور الشمس في بلادهم ويكثر تعرضهم له اجود صحة او اطول عمراً او اشد نشاطاً من الذين لا يكثر نور الشمس في بلادهم او لا يكثر تعرضهم له . ولا نعلم فائدة صحية للاستيقاظ الباكر قبل طلوع الشمس . ولكن لا شبهة في الفائدة المالية او المعاشية من النوم ليلاً والعمل نهاراً

(٥) المنسوجات السورية المطبوعة

بيروت . احد المشتركين باي وقت وباي بلد كانت الاقمشة تنسج وتطبع في سورية

ج . لقد اشار بلينيوس المؤرخ اشارة واضحة الى ان المصريين الاقدمين كانوا يطبعون النقوش المختلفة الالوان على المنسوجات . وقد وجدت في آثار مصر منسوجات مطبوعة بالوان مختلفة . وتدل مفردات اللغة العربية التي جمعت منذ الف سنة على ان العرب كانوا يلبسون ثياباً عليها نقوش مطبوعة كقولهم ثوب مبرّج اي فيه صور البروج وثوب مدنّر اي فيه كالدنانير وثوب ممرجل فيه صور المراجل وذلك كله مما يصعب الوصول اليه بالنسج . وكان الصينيون والهنود يطبعون المنسوجات من قديم الزمان بطوابع من الخشب . ويظهر من وصف منسوجات صور وصيداء في التوراة

ان منها ما كان مطبوعاً طبعاً ولذلك نستنتج ان صناعة طبع الاقمشة كانت معروفة في سورية منذ عهد قديم . ولما زار فرنله سورية منذ نحو مئة وثلاثين سنة كانت المنسوجات القطنية كثيرة فيها يتاجر بها فقد جاء في كلامهِ على تجارتها مع فرنسا ان فرنسا ترسل اليها الجوخ والقرمز والنيل والسكر والبن الاميركي وتأخذ منها القطن الخام والمغزول والمنسوج والحرير الطرابلسي (وغيرهُ كان ممنوعاً) والعفص والنحاس والصوف

وقال في كلامهِ على دمشق انهُ تصدر منها المنسوجات الحريرية والقطنية التي تنسج فيها بكثرة وهي متقنة الصنع جداً

وقال في كلامهِ على صيدا ان للفرنسويين فيها ستة بيوت تجارية وهي تصدر منها القطن الخام والمغزول وان صناعة اهالي صيدا نسج المنسوجات القطنية

نعم ان كلام فرنله لا يثبت منهُ ان المنسوجات القطنية التي كانت تصدر الى اوربا كانت مطبوعة ولكننا نتذكر جيداً اننا رأينا قوالب طبع المنسوجات في سورية منذ نحو خمسين سنة وكنا نرى المناديل والطرحات واوجه اللحف التي كانت تطبع بها . ولا يزال طبع المناديل جارياً في مصر حتى الآن ونحن نرى امامنا حين كتابة هذه السطور منديلاً رفيقاً مما يتبرقع بهِ النساء في سورية او يغطين رؤوسهن بهِ وعلى حواشيهِ الاربع نقوش بثلاثة الوان احمر واخضر واسود كل نقشة منها تمثل وردة مفتحة وثلاثة ازرار وعرقاً فيهِ ثلاث اوراق . والوردة ورؤوس الازرار حمراء والاوراق خضراء وحدود الاوراق واضلاعها سوداء وعلى جانبي النقوش دوائر صغيرة منظومة سواء وفي كل دائرة منها نقطتان سوداوان . والمنديل كلهُ مصبوغ بلون وردي فاتح . وهذا المنديل مطبوع في القاهرة والظاهر ان الصناع كانوا يصنعون مثلهُ في سورية وحلب

(٦) كيفية الطبع

ومنهُ . كيف كان يستعمل طبع الاقمشة وما هي القوالب التي كان يطبع بها

ج . المنديل المشار اليهِ آنفاً صنعت قوالبهُ من الخشب ووضعت الاصباغ في آنية كل صبغ في اناء على حدة بعد ان اذيب في الماء ويوضع على وجه الصبغ قماش رقيق ثم يوضع القالب عليهِ فيلصق بهِ شيء من الصبغ الذي ينفذ من مسام القماش ويطبع النسيج الذي يراد طبعهُ بهذا القالب حيث يراد ظهور النقش عليهِ

(٧) معامل الطبع

ومنهُ . هل كان يوجد معامل كبيرة تصنع وتطبع فيها الاقمشة او كان يتم ذلك في بيوت الصناع

ج . لم نجد في كل الكتب التي لدينا ما

يدل على انهُ كانت توجد معامل كبيرة لنسج الاقمشة وطبعها

(٨) قوالب الطبع

ومنهُ · هل يوجد شيء من تلك القوالب واين توجد وهل توجد اقمشة مما كان يطبع حينئذٍ

ج · المنديل الذي ذكرناهُ آنفاً طبع في القاهرة في مكان بين السورين بقوالب من الخشب ولا يزال طبع المناديل جارياً الآن هناك · ولا ندري هل هذه الصناعة لا تزال جارية في سورية الآن والرجاء ممن يطلع على هذا السؤال وهو يعلم بوجودها ان يكتب الينا بذلك · ونظن ان مناديل اليزما واوجه اللحف الخشنة النسج والطبع التي ترى الآن في بعض البيوت في سورية هي مما كان ينسج ويطبع فيها

(٩) تاريخ الصناعة العربية

ومنهُ · هل يوجد كتاب يتضمن تاريخ الصناعة العربية السورية

ج · لا علم لنا بكتاب مثل هذا ولكننا نشرنا في مقتطف شهر مارس (اذار) سنة ١٩٠٨ مقالة مسهبة في الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية فيها وصف لا بأس بهِ للصناعة السورية حينئذٍ · وترون في المجلد الخامس والثلاثين من المقتطف فصولاً كثيرة عن الصناعة المصرية في زمن الحملة الفرنسوية ملخصة مما كتبهُ المسيو جوار حينئذٍ وفيهِ اشارة الى الصناعة السورية ايضاً والى ما كان يصدر من البلادين وما يستعمل فيها

(١٠) كليات البنات في القاهرة

طنطا · ابرهيم افندي سميه · ما هي كليات البنات في القاهرة حيث يتعلم التلميذات داخليات وما هي افضلها من حيث العلوم والآداب حتى اذا تخرجت البنت فيها ساوت اختها الغربية

ج · ليس في القاهرة من كليات البنات الداخلية في ما نعلم سوى اثنتين الكلية الاميركية والكلية الفرنسوية وقد سمعنا مدحهما كليتيهما من الذين يتعلم بناتهم فيها

(١١) بلوغ الكمال

صبريتو سانطودو جبال بالبرازيل · الخواجه جبران صبيحة · هل يصل الناس الى الكمال الحقيقي حتى يعرف كل انسان مالهُ وما عليهِ ويعمل بموجب القاعدة الذهبية القائلة «كما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا انتم بهم ايضاً»

ج · يرجح جمهور كبير من العلماء ان نوع الانسان سائر في هذا السبيل تبعاً لناموس بقاء الاصلح · فالصُلَّاح يبقون في الارض والاشرار يُستأصلون منها على مرور الزمن · واذا تأخر ذلك الف سنة فهي ليست زمناً يذكر امام العصور المتراخية التي مرَّت على الانسان قبل ان وصل الى حالتهِ الحاضرة

(١٢) عمر الانسان

الزقازيق - بسطوروس افندي سعد .

في اي سنة من عمر الانسان يتم نمو جسمه

ج - بين السنة العشرين والثلاثين - والوقت الذي يتم فيه نمو الجسم يختلف باختلاف البلدان والاشخاص والاعضاء فسكان الاقاليم الحارة يتم نمو اجسامهم قبل سكان الاقاليم الباردة والنساء يتم نمو اجسامهن قبل الرجال وبعض الناس من البيت الواحد يتم نمو اجسامهم قبل البعض الآخر - ومتى بلغ الانسان الثلاثين من عمره يكون قد تم بناء جسمه بنوع عام ولكن قد تنمو بعض اعضائه بعد ذلك ليتسع صدره مثلاً وتنمو عضلاته - والغالب انهُ يزيد سمناً الى ان يبلغ الخمسين او الستين من عمره - ومن المحتمل ان نمو الدماغ او بعض اجزائه لا يقف في بعض الناس قبل الخمسين او الستين من العمر

باب الاخبار العلمية

صوت التمساح في بيضه

انتبه الدكتور واتزكو منذ اربع عشرة سنة الى ان صغار التماسيح تصوت وهي لا تزال في البيض وصوتها كالعال ويسمع ولو كان البيض مغطى بطبقة من الرمل سمكها متران - وهي تصوت كلما أزعجت كما اذا رفعت الارض بقدمك على مقربة من البيض او مسكت البيضة بيدك وقلبتها - وكلما خرجت انثى التمساح من الماء ومشت نحو المكان الذي اخفت فيه بيضها سمعت صغارها من البيض فيطفئن بالماء ومتى علا الصوت كثيراً تعلم ان صغارها قاربت الخروج من البيض فتحفر الرمل عنها والعال تشرع الصغار تخرج من بيضها ولولا ذلك لهلكت لانها لا تستطيع الخروج من تحت الرمل

شارل تليه مستنبط التبريد

لا يخفى ان اللحوم على انواعها تنقل الآن من بلاد الى اخرى سليمة لانها توضع في السفن في غرف مبردة الى ما تحت درجة الجليد - ومستنبط هذه الطريقة المسيو شارل تليهٔ توفي بالامس في باريس بالغاً من العمر ٨٦ سنة وهو في حالة يرثى لها من الفقر المدقع. فانهُ ولد سنة ١٨٢٨ وانقطع للباحث العلمية فاستنبط طريقة التبريد وسنة ١٨٧٦ سافرت اول سفينة تحمل لحماً مبرداً من فرنسا الى بونس ايرس وكان قد تولى بناءها لهذه

الغاية . والآن كثرت السفن التي تحمل الحمم المبرَّد حتى انهُ يرد الى بلاد الانكليز وحدها كل سنة من هذا الحمم ما ثمنهُ ٢٤ مليوناً من الجنيهات . واذا قدرت الاموال التي تكتسبها استراليا وكندا والارجنتين من طريقة تليه بلغت ملايين كثيرة من الجنيهات كل سنة ومع ذلك مات صاحب هذه الطريقة وهو لا يملك شيئاً

مدافن طرخان

وصف الاستاذ فلندرس بتري المدافن التي وجدها في طرخان على نحو اربعين ميلاً من القاهرة جنوباً وهي من عهد الدولة الاولى من الدول المصرية ومن عصر الملك زت الذي نشأ في واسط تلك الدولة وقد وجد في تلك المدافن عظام ستمئة نفس والرجال منهم من صنفين مختلفين من الناس

احتراق السفينة فلترنو

بينما كانت السفينة الانكليزية فلترنو في وسط الاوقيانوس الاتلنتيكي وفيها من البحارة والركاب ٦٥٧ نفساً شبت النار فيها فاحرقتها ولم يكن في الامكان ان ينجو احد منها ولكنها ارسلت خبر ما اصابها بالتلغراف اللاسلكي الى كل الجهات فوصلت الاشارات الكهربائية اولاً الى السفينة فرامانيا فارسلت هذه الخبر بتلغرافها اللاسلكي الى كل مكان واسرعت السفن التي وصلها الخبر الى السفينة المحترقة وكان الدخان شديداً يمنع دنوها منها وكان بينها سفينة وسعها زيت فجعلت تصبهُ في البحر فلم يمضِ خمس دقائق حتى سكنت الامواج وتمكنت السفن من تخليص كل الذين كانوا لا يزالون احياء في السفينة المحترقة وعددهم ٥٢١ فالفضل في نجاتهم للعلم الذي اكتشف التلغراف اللاسلكي واثبت ان الزيت يسكن الامواج

الطيارة المائية

ذكرنا غير مرة ان جريدة الديلي ميل تبرَّعت بخمسة آلاف جنيه لمن يطير حول البلاد الانكليزية بطيارة مائية مسافة ١٥٤٠ ميلاً فطار الطيار هوكر ومعهُ رجل آخر حتى اذا قطع مسافة ١٠٤٣ زلت قدمهُ عن دفة الطيارة فسقطت في البحر وأنقذ هو ورفيقهُ هو سالماً ورفيقهُ مكسور الذراع . والطيارة من النوع ذي السطحين سعة جناحيها من طرف الى طرف ٥٠ قدماً ولها طوفان ثقل كلٍّ منهما ١٧٠ رطلاً وطوف ثالث صغير متزلي تحت ذنبها وثقل الطيارة كلها وراكبيها ٢٤٠٠ رطل (ليبرة)

نثرات شيلي

ان السماد الكيماوي المعروف بنثرات الصودا يجلب من بلاد شيلي باميركا ويقدر ان الموجود منهُ الآن فيها لا يزيد على مئة

مليون طن فاذا بقي استخراجهُ واستعمالهُ لتسميد المزروعات جارياً على النسبة الحالية فرغ كلهُ في ٣٥ سنة الى اربعين سنة ولا بدَّ من التفتيش عن مناجم اخرى بكثر وجودهُ فيها قبلما يفرغ

شيوع الاشربة الروحية

احصي ما شربهُ سكان الولايات المتحدة من الخمور ونحوها من الاشربة الروحية في كل سنة من السنين الماضية من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩١١ فوجد متوسط ما كان لشربهُ النفس من السكان في السنة كما في هذا الجدول

سنة ١٨٥٠	٤,٠٨ جالون
« ١٨٦٠	٦,٤٣ «
« ١٨٧٠	٧,٧٠ «
« ١٨٨٠	١٣,٢١ «
« ١٨٩٠	١٦,٧٢ «
« ١٩٠٠	١٧,٧٦ «
« ١٩١٠	٢١,٨٦ «
« ١٩١١	٢٢,٧٩ «

ومتوسط ما يشربهُ النفس في المانيا من الاشربة الروحية كمتوسط ما يشربهُ النفس في اميركا ويشرب الالماني من الاشربة الاخرى كالبيرا اكثر مما يشرب الاميركي ويشرب الانكليزي من هذه الاشربة اكثر مما يشرب الالماني ولكنهُ يشرب من الخمور والاشربة الروحية اقل مما يشرب الاميركي. وثمن المشروبات التي يشربها الالمان في السنة ١٥٠ مليون جنيه اي اكثر مما تنفق المانيا على حربيتها وبحريتها ثلاثة اضعاف وهو يساوي ما ينفقونهُ في السنة ثمن ما يأكلونهُ من اللحم والسمك والطيور واقل قليلاً من ثمن ما يأكلونهُ من الخبز والكعك والبطاطس. وثمن الخمور التي يصنعها الاميركيون ويشربونها في السنة ١٢٠ مليون جنيه او نحو ثمن القمح الذي يستغلونهُ. هذا عدا الخمور التي يجلبونها من البلدان الاخرى

وطن البق

البق معروف الآن في المسكونة كلها فمنهُ سبعة انواع في اوربا وستة في افريقية وخمسة في اسيا واثنان في استراليا وسبعة في اميركا. اما البق الداوي الذي يكون في الفرش والاسرة فوطنهُ الاصلي على قول الدكتور هورفاث سواحل بحر الروم وهو يظن انهُ كان اولاً من الحشرات التي تعلق بالخفافيش ثم انتقل منها الى الانسان

تعاون الكلاب

جاء في مجلة المعرفة ان كلبين من نوع التريير احدهما اسود صغير القد والاخر ابيض كبير نزلا الى بحيرة الابيض نزل اليها بارادتهِ ليغتسل فيها والاسود وقع فيها على غير ارادتهِ

فحاول الصعود منها وكانت جوانب البحيرة مبنية والجدار قليل الارتفاع ولكنهُ قائم عودياً فلم يتمكن الكلب من البلوغ الى اعلاهُ بل كان يقع في الماء كلما حاول الصعود . وسار الكلب الابيض الى مصب النهر في البحيرة وخرج منهُ ودار الى حيث الكلب الاسود ولما رأى ما هو فيهِ من الشدَّة لانهُ كاد يغرق حاول القبض على عنقهِ لاخراجهِ من الماء فلم يتمكن من ذلك واخيراً وصل الى الطوق الذي حول عنقهِ وقبض عليهِ باسنانهِ واخرجهُ من البحيرة

عدد النجوم

ابان المستر توكر في ما نشرهُ بين منشورات الجمعية الفلكية في شهر اغسطس الماضي ان عدد النجوم التي ترى بالعين في وقت واحد قلما يزيد على الفين وعدد النجوم التي ترى بالتلسكوب الى حد القدر السابع عشر لا يزيد على اربعين مليوناً اي قدر سكان بلاد الانكليز وعدد ما يمكن ان يصوَّر بالفوتوغراف الى حد القدر العشرين مئة مليون . وكلما صغرت النجوم في اقدارها قلَّ عددها اما لأن في الفلك مادة تمتص النور فلا يصل الينا نور النجوم البعيدة او لأن النجوم ثقلَّ فعلاً بالابتعاد عن النظام الشمسي الى ان تصل الى النهاية فيكون لهذا الكون حد محدود . الأ ان ما تقدم يصدق على النجوم المنيرة التي نراها ينورها اما النجوم المظلمة التي لا نور لها فلا سبيل لرؤيتها ولا لمعرفة عددها . واذا حسبنا انهُ يوجد ١٨ نجماً في كل مسافة طولها ١٦ سنة نورية[1] فالمئة مليون نجم تملأ كرة قطرها مئة آلاف سنة نورية وهو البعد الذي حسب الاستاذ نيوكم ان حواشي المجرَّة تصل اليهِ

رئاسة النساء في مجمع تقدم العلوم البريطاني

هذه اول مرة في تاريخ مجمع تقدم العلوم البريطاني رأست امرأة فرعاً من فروعهِ فقد رأست فرع علم البنات مس اثل سرجنت وافتتحت خطبة الرئاسة بالاشارة الى ذلك فقالت ان اختيارها للرئاسة بدعة في عادات المجمع وكرم من اعضائهِ . واجزل الكرم ما اقدم عليهِ ذووهُ غير معتدّين بمخالفة العادات الراسخة . ثم جعلت موضوعها تقدم علم الاجنَّة النباتي منذ سنة ١٨٧٠ وهي عالمة عاملة في هذا الفن فالمَّت بكل فروعهِ

غور البحر المتوسط

يظهر من بحث البعثة الهولندية التي سبرت غور بحر الروم انهُ مؤلف من حوضين كبيرين يفصل بينهما حاجز مرتفع يصل بين جزيرة صقلية وشاطئ افريقية الشمالي واعلى

(١) السنة النورية هي المسافة التي يقطعها النور في سنة من الزمان وهي ستة آلاف الف مليون ميل

هذا الحاجز منخفض عن سطح ماء البحر اربع مئة متر. والحوض الغربي من هذين الحوضين عمقهُ من الفي متر الى ثلاثة آلاف والحوض الشرقي اعمق منهُ وقد يزيد عمقهُ في بعض الاماكن على اربعة آلاف متر. والمطر الذي يقع على بحر الروم لا يزيد على ربع المياه التي تتبخر منهُ لكن ارتفاع الماء فيهِ يبقى على حالهِ بما يجري اليهِ من مياه الاوقيانوس الاتلنتيكي

سرير الارانب اوتان

الارانب اوتان من ارقى انواع القرود وقد ثبت الآن انهُ اذا اراد النوم في غابهِ كسر نحو ١٢ عوداً من عيدان الاشجار وبسطها والقى عليها طبقة من اوراق الاشجار حتى يكون منها سرير طولهُ نحو متر ونصف وعرضهُ نحو ثمانين سنتيمتراً ونام عليهِ والغالب انهُ يصنع سريراً كل ليلة او كل ليلتين

الدكتور ادولف ديزل

بينما كان الدكتور ديزل ذاهباً من انفرس الى هروك ليلة ٢٩ سبتمبر الماضي وقع في البحر وغرق. وهو مخترع الآلة البخارية المنسوبة اليهِ التي وقودها من زيت البترول غير النفي وهي افضل آلات البترول التي صنعت حتى الآن. ولد في باريس سنة ١٨٥٨ من والدين المانيين ودرس في مدرسة اوغسبرج الصناعية وفي كلية مونخ وصنع اول آلة من آلاته سنة ١٨٩٣ فشاعت كثيراً

ائتلاف النمل والديدان

ذُكرت امثلة جديدة على ائتلاف الديدان والنمل اذ وجدت ديدان كبيرة في قرى بعض انواع النمل وهي تعيش معهُ على تمام الالفة والوفاق. والظاهر ان النمل يجد على ابدانها مادة يستطيبها تفرز منها فيبقيها في قراهُ لهذه الغاية

احتراق بلون زبلن L.H.

كان هذا البلون يجرب في ١٧ اكتوبر. صعد في الجو وفيهِ ٢٨ نفساً وفي ثلاث دقائق بلغ ارتفاعهُ ٢٠٠ متر وحينئذٍ اقتدت النار فيهِ من شرارة كهربائية اصابت شيئاً من البلزين المرشح من آلاتهِ وحدث فيهِ انفجار وفي ثانيتين او ثلاث شملهُ اللهيب وجعل يهبط رويداً رويداً ورأسهُ الى الاسفل حتى صار على ٤٠ متراً فوق الارض وحينئذٍ حدث فيهِ انفجار ثانٍ وسقط على الارض وقتل الذين كانوا فيهِ

وكان طول هذا البلون ٥٢٠ قدماً وقطرهُ ٥٣ قدماً وتفريغهُ ٢٢ طناً وفيهِ ١٨ كيساً للغاز تسع ٢٧ الف متر مكعب من الهيدروجين يتصل بهِ ثلاث مركبات المقدمة منها للربان. وفيهِ اربع آلات محركة قوة كلٍّ منها ٢١٠ احصنة وثمنهُ خمسون الف جنيه

الطيار الصبي

تعلَّم شاب صبي الطيران في بلاد الانكليز واتقنهُ في اقل من سنتين واخترع اسلوباً جديداً من الطيارات ذوات السطحين ومرادهُ ان يعود بهِ الى بلادهِ وهو يمتاز عن الطيارات العادية بان الجزء الخلفي من اجنحتهِ معقوف الى الاسفل

اطول الدعاوي القضائية

حُكم سنة ١٨٤٨ في دعوى قضائية دامت المرافعة فيها او دامت مرفوعة امام القضاء ٦٣٨ سنة من سنة ١٢١٠ الى سنة ١٨٤٨ . وكذلك حكم سنة ١٨٥٤ في دعوى دامت مرفوعة ٦٣٨ سنة ايضاً اي من سنة ١٢٥٤ الى سنة ١٨٥٤

ومن اغرب الدعاوي ان مطراناً مجرياً توفي في اواسط القرن الثامن عشر ولم يستطع ورثتهُ ان يقتسموا ميراثهُ حينئذٍ بسبب الاضطرابات السياسية ثم لما سكنت الاحوال وارادوا اقتسامها كان عددهم قد بلغ الف نفس فاختلفوا في القسمة ورفعوا امرهم الى القضاء سنة ١٧٦٨ ودامت الدعوى الى ان حكم نهائياً سنة ١٨٩٠ وكانت قيمة التركة مئتي الف جنيه فلم يصب الواحد منهم سوى جنيه واحد وما بقي ذهب نفقات الدعوى واجرة المحامين

ومن قبيل ذلك دعوى اخرى امتدت المرافعة فيها من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٦٩ وابطلت المرافعة فيها حينئذٍ لان المحامين انفقوا كل غرش فيها اجوراً ومصاريف في غضون هذه المدة

السفن الحربية القديمة

باعت الحكومة الانكليزية بعض سفنها الحربية القديمة بمئة الف جنيه وكانت تنفقات بنائها مليوني جنيه . وباعت بارجة باربعين الف جنيه وقد بنيت سنة ١٨٩١ وكانت حينئذٍ من اعظم بوارجها ولعلَّ نفقة بنائها لم تكن اقل من مليون جنيه

المستر روزفلت

دعت حكومات ارجنتين وبرازيل وشيلي المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق لتقديم الخطب فيها في المواضيع الاجتماعية وسيذهب اليها لهذه الغاية ثم يرئس لجنة من العلماء تبحث في اواسط اميركا الجنوبية لاجل معرض التاريخ الطبيعي في الولايات المتحدة

هبات التعليم في اميركا

ظهر تقرير حكومة الولايات المتحدة الاميركية عن التعليم في سنة نهايتها ٣٠ يونيو سنة ١٩١٢ وفيهِ ان مبلغ الهبات التي نالتها الجامعات والكليات الاميركية بلغ تلك السنة ٤٩٥٦٦٠٠ او نحو خمسة ملايين من الجنيهات وذلك عدا الهبات التي وصلت اليها من حكومات الولايات

هبة علمية تذكارية

جاء في جريدة العلم الاميركية ان المسيو ارنست سولفاي الذي اكتشف الطريقة المنسوبة اليهِ لعمل كربونات الصودا احتفل بمرور خمسين سنة على اكتشافهِ هذا فوهب اكثر من مئتي الف جنيه للمعاهد العلمية والخيرية والمستخدمي معملهِ

مياه لندن

يبلغ سكان مدينة لندن سبعة ملايين من النفوس ومع ذلك تجد شركات المياه ماءً كافياً لهم مع انهم ينفقون في يومهم مئتي مليون جالون من الماء اي ان كل نفس منهم يستعمل كل يوم ٣٠ رطل من الماء. وعند الشركات او مجلس ادارة المياه حياض تسع ١٥٠٠٠ مليون جالون اي ما يكفي السكان كلهم خمسة وسبعين يوماً

خسارة القمار

يقال ان رجلاً بولنديًّا من اصحاب الاملاك الواسعة خسر بالامس في بوسن في ليلة واحدة ٧٦٠ الف جنيه وارضاً مساحتها ١١٠٠٠ فدان

ضرر الغاز بالتنفس

ان المصباح الواحد من مصابيح الغاز يأخذ من اكسجين الهواء اربعة اضعاف ما يأخذهُ البالغ

عظمة البريد

يحمل بريد الهند كل سنة اكثر من ٧٢٠ مليون مكتوب واكثر من ٩٧ مليون جريدة

السيد علي يوسف

نعت الصحافة المصرية بمنشئ من اكبر منشئيها السيد علي يوسف مؤسس جريدة المؤيد رجل عصامي بلغ بمهارتهِ وذكائهِ اعلى المراتب العلمية والادبية التي تنال في هذا القطر. دخل ديوان التحرير شابًّا وانشأ جريدة اسبوعية ثم انشأ المؤيد بعد ما انشأنا المقطم ببضعة اشهر فابلغهُ الدرجة العليا بين الجرائد المصرية بما كان يكتبهُ فيهِ ويستكتب لهُ كبار العلماء. وكان سريع الخاطر قوي الحجة واسع الرواية مقداماً جريئاً ذلَّل الصعاب بهمتهِ وصارت لهُ منزلة عالية لدى الجناب الخديوي ونال من السلطان السابق اسمى الرتب والنياشين التي تعطى لارباب الاقلام واقترن بكريمة شيخ السادات الوفائية وخلفهُ في هذا المنصب واعتزل حينئذٍ رئاسة تحرير المؤيد

توفي الى رحمة ربهِ في الخامس والعشرين من اكتوبر عن خمسين سنة من العمر وسير بجنازتهِ في مشهد جليل مشى فيهِ العلماء ونظار الحكومة المصرية وجمهور كبير من كبار موظفيها واعيان الاهالي

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثالث والاربعين

صفحة

٤١٧ العلاج الكيماوي · من خطبة للدكتور ارلخ في المؤتمر الطبي
٤٢٢ الاستاذ فيبري
٤٢٥ مبدأ الاتصال · من خطبة الاستاذ السر اوليفر لدج · (مصورة)
٤٣٣ ديدرو · (مصورة)
٤٣٧ الانتفاع بالميكروبات
٤٤٠ السلم والحرب
٤٤٥ الادب الطبيعي · للدكتور امين ابو خاطر
٤٥٣ اقطاب الدولة الالمانية
٤٥٨ المالك المؤاجر والفلاح المستأجر
٤٦٣ عبد اللطيف البغدادي
٤٧٣ احكام انكليزية في العمولة والسمسرة
٤٧٧ كاترينا الثانية امبراطورة الروس · (مصورة)

٤٨٣ باب المراسلة والمخاطرة * الطريقة الحديثة للتعليم · كلمة لا بد منها · العمال في القديم · ساعة السبت
٤٩٠ باب تدبير المنزل * المسامرة الثالثة في التتمم بمركبات القمح · فوائد منزلية · نفقات المعيشة وقاعدة الاسراف · حق النساء في الانتخاب · نصائح صحية للنساء · عدما يا دوقة كنوت
٤٩٧ باب الزراعة * زرع القطن المصري في اميركا · السماد الاخضر · الغذاء في انواع العلف · زراعة البطاطا في القطر المصري · السكك الزراعية · زرع القمح
٥٠٢ باب التقريظ والانتقاد * الكتب التي تهدى · القراءة واختلاطها في القطر المصري · حساب المثلثات الكروية · العلاج الجراحي · محاسن الطبيعة وعجائب الكون · جزيرة الذهب · جنة كاترينا · الخلق · ضحية الواجب · عجلة الطوارئ الاجتماعية
٥٠٨ باب المسائل * وفيه ١٢ مسألة
٥١٢ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٧ مادة

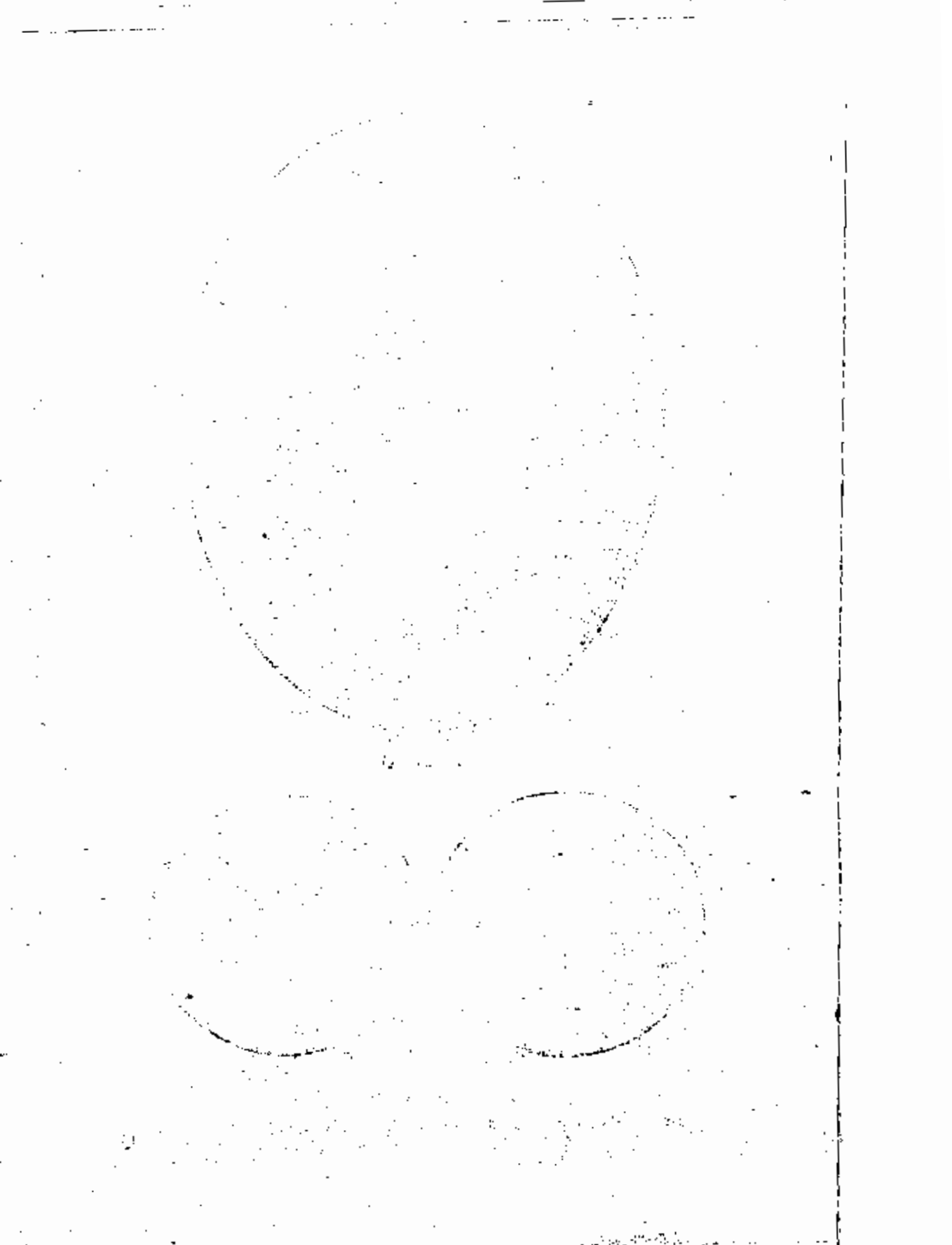

الفرد رسل ولس

بنان دارون وولس

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٥٢١